

ملفات العلوم النفسية
35-34

ملحق العدد 34-35

ربيع و صيف 2012

رسالة الشبكة

الشبكة تدخل عامها العاشر... حصاد تسع سنوات مستقبل الشبكة: أمانة في خطى الراسخون في عالم العلوم النفسية جائزة مالكي بـ... طريق الشبكة العالمية للعلوم النفسية 2012

ملف الملحق: السيكولوجيا العربية... نحو إبراز الخصائص المميزة

مروان طويرجي - إبراهيم رجب - أنيسة الأمين مرعدي - ناصر ميذاب يحيى الرخاوي - صادق السامرائي - قاسم العوادي - سجاد جواد التميمي

أبحاث ودراسات في مستجدات العلوم النفسية

سجاد جواد التميمي - الفالح أحرشاوي - صادق السامرائي - قاسم حسين صالح - إدريس الهذاني - علي زيعور - قرعات في المستجدات... متابعات

تجميعات

الجمعية المصرية للتوعية والصحة النفسية - وعدي

اصدارات حديثة

في مكتبة الشبكة
عبد الستار ابراهيم - خليل فاضل - ترجمة: سامر جميل رضوان
في قاعدة بيانات الشبكة
ناصر ميذاب - عادل الطامي - علي عبد الرحمن - شعبان أحمد فضل

مراجعة مجلات

المجلة العربية للعلوم النفسية - المجلة العربية للطب النفسي

مراجعة أطروحات

نصر الدين عبد النور - سمير السيد شحاتة - زعتير نور الدين - هنادي الشها
حنان خليل عقيل الطيبي - أحمد حمزة - بن أحمد قويدر - لويذة مسعودي

مؤتمرات نفسية

السعودية - مصر - المغرب - دبي - تونس



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي

سنريكم آياتنا

في الأفق وفي أنفسكم

حتى يتبين لكم أنه

الحق



ARABPSYNET E.JOURNAL

ELECTRONIC ARAB PSY REVIEW

QUARTLY EDITION

المجلة الإلكترونية لشبكة العلوم النفسية

مجلة طب نفسية و علم نفسية محكمة

تصدر فصلياً

Subscription For Arabpsynet SERVICES PACK

REGISTRATION FOR 2012

Psychiatrists & Psychologists

After Send CV

Via Cv Form

www.arabpsynet.com/cv/cv.htm

الإشتراك في خدمة خدمات الشبكة

إشتراكات سنة 2012

خاص بالأطباء و أساتذة علم النفس

إرسال السيرة الذاتية

حسب النموذج التالي

www.arabpsynet.com/cv/cv.htm

الإشتراك في خدمات الشبكة

خدمات الاشتراك في الشبكة وإصداراتها: (بريد المراسلات، المجلة العربية للعلوم النفسية، الكتاب الإلكتروني للعلوم النفسية، المعجم الموسع للعلوم النفسية، الإصدارات الفصلية للإنسان والتطور)

- شروط الاشتراك: إرسال السيرة العلمية وملخصات الأعمال العلمية (من خلال النموذج التالي)

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>

- معلوم "الاشتراك/الدعم": مجاني (مؤقتاً و لسنة 2012) مع دعوة المشتركين عند قبول التسجيل تقديم "دعماً اختيارياً سنوياً" للشبكة: حده الأدنى مائة دولار للأفراد و الف دولار للمؤسسات الجامعية والجمعيات ومراكز الأبحاث. (ندعوا الى تشجيع اختيار "الاشتراك/الدعم الدائم" بما يعادل "اشتراك/دعم عشر سنوات" تدفع مقدماً مرة واحدة، بدل "الاشتراك/الدعم السنوي" المربك والمتسبب بالاحراج).

JOURNAL CORRESPONDENCE

E.MAIL : APNJournal@arabpsynet.com

P.MAIL :

Doctor Jamel TURKY

28 Habib Maazoun Street

TAPARURA Building Block "B" N°3

3000 SFAX - TUNISIA

مراسلات المجلة

بريد إلكتروني: APNJournal@arabpsynet.com

بريد ورقي:

" الدكتور جمال التركي "

28 نهج الحبيب المعزون

عمارة ثرورة مدرج ب عدد 3

3000 صفاقس - تونس

Arabpsynet E.JOURNAL

ELECTRONIC ARAB PSY REVIEW QUARTLY EDITION

TOWARDS AN INTER-ARAB PSY ACADEMIC COLLABORATION

EDITED BY CISEN COMPUTER COMPANY

EMERITUS PRESIDENT

PR. AHMED OKASHA (EGYPT)

HONOROUR PRESIDENT

PR. YAHIA RAKHAWI (EGYPT)

PRESIDENT

DR. JAMEL TURKY (TUNISIA)

VICE PRESIDENT

PR. MOHAMED AHMED NABULSY (LEBANON)

SCIENTIFIC BOARD :

PSYCHIATRY :

ADIB ESSALI	(SYRIA)
KHALIL FADHEL	(EGYPT)
SUDAD JAWAD TIMIMI	(IRAQ/BRITAIN)
SHAHIDI A. WAZZANI	(MOROCCO)
ZINE OMARA	(UAE)
SADAK SAMARRAI	(IRAQ / USA)
TARAK AL-HABIB	(KSA)
TARAK OKASHA	(EGYPT)
ABD. IBRAHIM	(SYRIA / LEBANON)
A. ABDERRAHMEN	(SUDAN)
ABDELAZIZ THABET	(GAZA/PALESTINE)
MAHDI ABUMADINY	(KSA)
NUMAN GHARAIBEH	(JORDAN / USA)
WAEI ABOHENDY	(EGYPT)
WALID SARHAN	(JORDAN)

PSYCHOLOGY :

BECHIR MAAMRIA	(ALGERIA)
BOUFOULA BOUKHMIS	(ALGERIA)
KHALED EL-FAKHRANY	(EGYPT)
SAMER RUDWAN	(SYRIA/OMAN)
SALAH ALSANIE	(KSA)
HAFEDH ELKHAMIRI	(YEMEN)
ABD. IBRAHIM	(EGYPT)
OMAR KHALIFA	(SUDAN)
EL RHAU AHARCHAOU	(MOROCCO)
QASSIM SALIHY	(IRAQ)
KADRI HEFNY	(EGYPT)
MALEK BADRI	(SUDAN/MALYSIA)
MUSTAFA ACHOU	(ALGERIA/ MOROCCO)
NAIM ATIYEH	(USA/LEBANON)

JOURNAL SECRETARY :

IMEN FEKI & SALWA WERTENI

مجلة شبكة العلوم النفسية العربية

مجلة فصلية طينفسية و علمنفسية محكمة

نحو تعاون أكاديمي طينفسية و علمنفسية عربي

إصدار مؤسسة سيزن كمبيوتر

الرئيس الفخري

أ.د. أحمد عكاشة (مصر)

الرئيس الشرفي

أ.د. يحيى الرخاوي (مصر)

الرئيس

د. جمال التركي (تونس)

نائب الرئيس

أ.د. محمد أحمد النابلسي (لبنان)

الهيئة العلمية :

الطب النفسي :

أديب الحسالي (سوريا)
خليل فاضل خليل (مصر)
سداد جواد التميمي (العراق / بريطانيا)
شاهدي عبد السلام الوزاني (المغرب)
زين عمارة (الإمارات)
صادق السامراي (أمريكا/العراق)
طارق الحبيب (السعودية)
طارق عكاشة (مصر)
عبد الرحمن إبراهيم (سوريا/لبنان)
عبد الله عبد الرحمن (السودان)
عبد العزيز موسى ثابت (غزة/فلسطين)
مهدي أبو مدين (السعودية)
نعمان الغرابية (أمريكا/الأردن)
وائل أبو هندي (مصر)
ولييد سرحمان (الأردن)

علم النفس :

بشير معمري (الجزائر)
بوقولة بوخميس (الجزائر)
خالد الفخراني (مصر)
سامر رضوان (سوريا/عمان)
صالح بن إبراهيم الصنيع (السعودية)
عبد الحافظ الخامري (اليمن)
عبد الستار إبراهيم (مصر)
عمرو هارون الخليفة (السودان)
الغالي احرشاوي (المغرب)
قاسم حسين صالح (العراق)
قنبري حفني (مصر)
مال كبدري (السودان / ماليزيا)
مصطفى عشيوي (الجزائر / المغرب)
نعيم عطية (أمريكا/لبنان)

سكرتيرة التحرير :

إيمان الفقي و سلوى الورثاني

ملحق العدد 34-35: ربيع ح وصيف 2012

7	رسالة الشبكة
8	الشبكة تدخل عامها العاشر...حصاد تسع سنوات - جمال التوكي
21	مستقبل الشبكة: أمة في خطر - عمر هارون الخليفة
23	الراشدون في العالم يوم النفسية - جمال التوكي
24	جائزة مالك بدرج لشبكة العلوم النفسية 2012 - شبكة العلوم النفسية العربية

ملف الملحق: السيكولوجيا العربية ... نحو إبراز الخصائص المميزة

26	مقدمة نحو علم نفس عربي - مروان طويرج
33	تطبيق منهجية التأويل الإسلامي في دراسة قضية «الطبيعة البشرية» - إبراهيم رجب
37	تهميش «الذات / Le sujet» في الخطاب العلمي المعاصر - أنيسة الأمين مرعي
42	مدى علمية علم النفس الحديث - ناصر مي-زاب
48	سوء استعمال العالم النفسانية - يحيى الرخاوي
54	ومضات أفكار - صادق السامرائي
58	علاقة الدين بالطب النفساني - قاسم الخواجة
63	الإحتضاد النفسي والدين - صادق السامرائي
65	«الإحتضاد النفسي والهوية...!» - صادق السامرائي
67	صحة نفسية بين التعلق والتعلق - صادق جواد التميمي
70	الدين والأعراف والعلم يوم النفسية - صادق جواد التميمي

حوارات معاصرة في السيكولوجيا العربية

73	أممراه و فصحى الصفا - صادق جواد التميمي
76	مظاهر الثقافة العربية وشروط تحديثها - الغالي أحمدشاه
79	إنعكاسات معرفية في مرآة حواراتنا النفسية...! - صادق السامرائي
82	علاقة الدين بالطب النفساني - قاسم حسين صالح
84	قضية الموهبة والحيوات - إدريس عبد السلام الوزانج
86	تجديد الجنس والحيات في الفرد والنوع والطبيعة - علي زيغور
88	الشيذوفرنيا... مرض وراثي أم منغصات حضارة؟! - قاسم حسين صالح
91	كتاتونيك شيذوفرنيا - صادق السامرائي
93	الإقترب من النفس في الثلاثينيات...! - صادق السامرائي
95	مهارات مصادرة الجراح النفسية!... - صادق السامرائي

ملحق العدد 34-35: ربيع ح وصيف 2012

- 97 الابعاد النفسية لهورمون الجنس الذكري - سطاك جواد التيمي
- 100 معاملات بشرية... قصة رجل و حصان - سطاك جواد التيمي
- 102 ومضات معرفية - صادق السامرائي
- 106 قرارات في المستجدات... متابعات**
- 106 حول فكرة العمل على إيجاد نظرية نفسية عربية - مرسلينا شعبان حسن
- 107 رغم فداحة السلبية المطبقة على الواقع من حولنا - مرسلينا شعبان حسن
- 108 تحليل وتعليق...! - صادق السامرائي
- 109 مشيناهما ومما غنمنا بت بصر - صادق السامرائي
- 110 النفس واحتراق المسمما...! - صادق السامرائي
- 111 أننا أدرك وأننا خبيرو - صادق السامرائي
- 112 خميس" الأموات و"أحد" النصارك - خولة أبوبكر
- 113 يقاطعون صانع "يوم الأرض" بحجة رفض التطبيع - مروان دويكري
- 114 وقفقة مع الزميل ل التيمي - إدريس شاهدك الورداني
- 115 مع الفروض الرخاوية العقول و الروح - إدريس شاهدك الورداني
- 117 جمعيات**
- 118 الجمعية المصرية للتوعية و الصحة النفسية - وعدي
- 120 اصدارات حديثة**
- في مكتبة الشبكة**
- 121 الإيجابية و صناعة الثقة التفتأول - عبد الستار ابراهيم
- 123 ضد الأكتئاب - خليل فاضل
- 128 المدخل إلى المعالجة النفسية التفاعلية الدينامية - ترجمة: سامر جميل رضوان
- في قاعدة بيانات الشبكة**
- 132 مدخل إلى سيكولوجية الجنوح - ناطر مزياب
- 135 استعمال قوة العقل في تحسين أيقوئطبالك - عادل عبد الرحمن الطالحي
- 140 الطب النفس بين القديم والمعاصر - علي إسماعيل عبد الرحمن
- 140 العلاج المعرف السلوكي ، الاستراتيجيات - شعبان أحمد فضل بشر

ملحق العدد 34-35: ربيع ص و صيف 2012

142 مراجعة مجلات	
143	المجلة العربية للعلوم النفسية - المجلد 8 العدد 32-33
152	المجلة العربية للطب النفسي - المجلد 20 العدد 02
155 مراجعة أطروحات	
156	كيف نربي أطفالنا - أحمد حمزة
159	مدى فاعلية برنامج ارشاد تكامل لتخفيف العنف - أحمد حمزة
159	فعالية برنامج علاج نفسي إسلامي في تخفيض القلق - زعتير نور الدين
160	أساليب التعامل مع الأزمات في العلاقات الزوجية - حنان خليل عقيل الحلي
161	التمثيلات الثقافية للعلاج ووظيفتها في المسار العلاجي - بن أحمد قويدر
163	اتجاهات الطلبة نحو استخدام الانترنت في تحقيق التعلم الذاتي - لويضة مسعودي
163	فاعلية التدريب على البرمجة اللغوية العصبية - سمير السيد شحاتة إبراهيم
164	THE EFFECTIVENESS OF TRAINING ON NEURO LINGUISTIC PROGRAMMING - سمير السيد شحاتة إبراهيم
164	LA PSYCHANALYSE ET LES PSYCHOTHÉRAPIES : «UNE CRISE COMPLEXE» - نصر الدين عبد النور
165	IDENTITÉ SEXUÉE ET ENJEU CULTUREL - هناء الشوا
166 مؤتمرات نفسية	
167	المؤتمر الدولي التاسع للطب النفسي - جدة، السعودية
169	مؤتمر مستجدات علاج الإدمان - الرياض، السعودية
170	المؤتمر الدولي الأول النفسي والاجتماعي في مصر - مصر
171	الجامعة الصيفية الرابعة لمهن العمل الاجتماعي والتنمية الاجتماعية - المغرب
179	مؤتمر آسيا والمحيط الهادئ الثاني عشر على المهبة - دبي
180	مقدمة في العلاج الجماعي بالتأمل - المقطم، مصر
181	اليوم الوطني الخامس والعشرون للجمعية التونسية للطب النفسي - تونس
182	ورشة عمل 3: أساسيات العلاج النفسي الجماعي التطبيقي - مصر
183	التطبيقات النفسية والمهنية - تونس
184	أساسيات العلاج النفسي الجماعي والسيكودراما - المنصورة، مصر
186	ورشة عمل: مقدمة في العلاج النفسي الجماعي - مصر

ملف ملحق العدد 34-35

السيكولوجيا العربية ...

نحو إبراز الخطأ ص المميززة

أبحاث الملحق...

- مقدمة نحو وعلم نفس عربي
مروان طويرجي
- تطبيق منهجية التأويل الإسلامي في دراسة قضية "الطبيعة البشرية"
إبراهيم رجب
- تهميش "الذات / LE SUJET" في الخطاب العلمي
أنيسة الأمين مرعي
- سوء إستعمال العلم وهو النفسي
يحيى الخراوي
- ومضات فكريات
صادق السامرائي
- مدى علمية علم النفس الحديث
ناصر مزيان
- علاقة الدين بالطب النفساني
قاسم الخواجة
- الإختصاص النفسي والدين
الإختصاص النفسي والهوية...
صادق السامرائي
- حصة نفسية بين التعلق والتحقيل
الدين والأعراف والعلم وهو النفسي
سكاد جواد التميمي

الأبحاث و الدراسات النفسية و العلمنفسية

أضف ملخص بحثك الى قاعدة البيانات

<http://www.arabpsynet.com/book/booForm.htm>

البحث في قاعدة بيانات الشبكة

<http://www.arabpsynet.com/book/default.asp>

مقدمة نحو علم نفس عربي

أ. مروان طويرج - مدينة الناظورة

psy@marwandwairy.com - admin@marwandwairy.com

ملخص

نظريات علم النفس السائدة في العالم هي في أساسها نظريات غربية تطورت كجزء من تطور الفردية Individualism في أوروبا وشمال أمريكا. معظمها يحاول فهم ماهية الفرد: تطوره، شخصيته، اضطراباته، وكيفية التأثير عليه. معظم هذه النظريات تتبنى نهجا اختزاليا (Reductionistic) وتكاد تبحث في الأساس في العمليات النفسية الداخلية للفرد بمعزل عن العوامل الاجتماعية والبيولوجية. معظم المجتمعات في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية مجتمعات جماعية Collectivistic بحيث يشكل الفرد جزءا لا يتجزأ من وحدات اجتماعية عائلية أو قبلية. الإنسان العربي يعيش هو أيضا بداخل وحدات عائلية أو عشائرية أو قبلية يصعب فيها رسم حدود الفرد التي تفصله عن بقية مجموعة انتمائه. بناء على هذا الفارق الثقافي- الحضاري يترتب إعادة النظر في نظريات علم النفس الفردية وإعادة صياغتها بما يتمشى مع الواقع الثقافي-حضاري للمجتمع العربي. نظريات التطور النفسي التي ترسم مراحل تطور الفرد الغربي من حالة الاندماج التام عند الولادة إلى حالة الانفصال والاستقلالية بعد مرحلة المراهقة، لا تصف بشكل صحيح مراحل تطور الإنسان العربي النموذجية التي يبقى فيها غير منفصل نفسيا عن مجموعة انتمائه. نظريات الشخصية التي تفسر سلوك الفرد على أساس مركبات وعمليات نفسية داخلية لا تفسر بشكل صحيح سلوك العربي النموذجي الذي تلعب القيم والعادات دورا رئيسيا في توجيه سلوكه. كذلك نظريات التشخيص والاضطرابات النفسية الغربية تتطلب إعادة صياغة لكي يتم تشخيص العوامل المؤثرة في حياة الإنسان العربي وتصوير الاضطرابات في سياقها الاجتماعي والثقافي-حضاري. نظريات العلاج النفسي التي تهدف إلى جعل "ما هو غير واع واعيا" أو تلك التي تهدف إلى تمكين الفرد من "تحقيق ذاته" أو تلك التي تريد تعليمه سلوكا إصراريا Assertive تخطئ الهدف أحيانا وتؤدي في بعض إلى تصعيد الصراعات بين الفرد ومجموعة انتمائه. ليس جميع العرب متطابقون من حيث مدى انفرادهم أو تعلقهم النفسي بأهلهم، لذلك يجب ملاءمة العلاج النفسي لكل عميل Client وفقا لمدى انفراده، قدراته النفسية، ومدى تزمته أهله. مع العملاء غير المنفردين نفسيا، والذين لا يتمتعون بقدرات نفسية للموجهة، والذين يعيشون مه أهل متزمتمين تجاه أي تغيير يفضل انتهاج طرق علاج حذرة تتحايد المواجهة بالتعاون مع القوى البناءة في العائلة وباستخدام طرق علاج غير مباشرة ورمزية مثل العلاج الميتافوري أو علاجات أخرى تسكن العوارض.

التجربة السياسية والاقتصادية لمعظم المجتمعات العربية في القرنين الأخيرين كانت تجربة استعمار. فقط في نصف القرن الأخير أقيمت دول قومية ما زالت بعيدة عن أن تكون دولا لمواطنيها وبعيدة عن توفير الخدمات الأساسية لهم. لذلك ففي معظم المجتمعات العربية ما زالت العائلة (أو العشيرة أو القبيلة) هي الراعي لحاجات أفرادها وهي المحببة لها أكثر من مؤسسات الدولة. لذلك فمن الطبيعي أن تستمر العلاقة التبعية المتبادلة (interdependence) بين الفرد وعائلته (أو حمولته أو قبيلته)، وألا ينفصل الفرد العربي نفسيا واجتماعيا عن عائلته وألا يظهر ككيان مستقل له احتياجاته وأراؤه وقيمه المستقلة عن حاجات وأراء وقيم عائلته. معظم الدراسات حول المجتمع العربي تشير إلى توقع معظم أفراده قريبا من القطب الجماعي. فالعربي يملك ذاتا جماعية، يشعر ويفكر ويقوم الأحداث بشكل شبيه لما يفعله بقية أفراد عائلته التي ترعاه وتحتضنه (Dwairy, 1997c). المجتمع العربي ليس مجتمعا أحادي الثقافة، فهناك عوامل تاريخية وإقليمية واقتصادية وطائفية وغيرها من العوامل التي لعبت وتلعب دورا في خلق التنوع والتعدد بداخل هذا المجتمع، لهذا فلا يتموقع جميع العرب في موقع واحد على محور الفردية-الجماعية، بل يتوزعون على مواقع متباينة على هذا المحور. بالرغم من هذا التباين بداخل المجتمع العربي إلا أنه عندما نقارن المجتمعات العربية مع المجتمعات الغربية المتباينة هي أيضا، تبقى الغالبية الساحقة من المجتمعات العربية أقرب إلى الجماعية منها إلى الفردية، تسود فيها الهوية الجماعية القبلية أو العشائرية (Barakat, 2000; Dwairy, 1997c).

إن لهذه الفوارق الثقافية أبعادا على معظم نواحي علم النفس الذي جاء كتحصيل حاصل (byproduct) لتطور الفردية في الغرب. فبعد ظهور الفرد ككيان مستقل كانت هنالك ضرورة لدراسة طبيعة هذا الكيان فجاءت نظريات التطور ونظريات الشخصية لتحديد مراحل تطور هذا الكائن وتحدد ملامح شخصيته وقواعد سلوكه، وجاءت نظريات التشخيص والاضطرابات النفسية والعلاج النفسي لتحديد ملامح الشذوذ وطرق العلاج. في هذه المحاضرة سأقترح إعادة النظر في خمسة مجالات في علم النفس: التطور، الشخصية، الاضطرابات النفسية، التشخيص النفسي، والعلاج النفسي. بعدها سأحاول تقديم نموذج (model) لعلاج يناسب المجتمعات الجماعية.

نظريات التطور

كما هو معروف فإن نظريات التطور النفسي والاجتماعي تُجمع على أن سيروورة التطور هي سيروورة انتقال من حالة التبعية والتعلق إلى حالة الانفصال والانفراد النفسي. إركسون ونظريات علاقات الموضوع وصفوا بدايات الانفصال والانفراد في السنتين الثانية والثالثة من حياة الطفل. فرويد رأى أن هوية الطفل تتحدد بعد جيل الخمس سنوات حيث يتماهى (identifies) الطفل مع الوالد لمطابق لجنسه. جميع النظريات تؤكد أن مراحل التطور الطبيعي لأي فرد تنتهي مع بلورة هوية وشخصية مستقلة للفرد مع انتهاء مرحلة المراهقة. النظريات الغربية تصف حالات تثبيت (fixation) أو نكوص (regression) أو انقسام (split) تعتبر حالات مرضية تحول دون تحقيق الاستقلالية النفسية بعد جيل المراهقة.

في نظام المجتمعات الجماعية حيث بقاء الفرد مربوط بدعم عائلته أو مجموعة انتمائه (in-group) من جهة، وحيث أن المجموعة تشترط لدعمها وعطائها امتثالا شبه كامل من قبل الأفراد لقيمها وعاداتها الجماعية من جهة أخرى، يعتبر الانفصال النفسي أمر غير مرغوب إن لم يكن مستحيلا، وعليه فإذا طبقنا نظريات التطور الغربية على المجتمع العربي فسيعتبر الفرد العربي شخصا فجًا وغير ناضج لأنه ما زال متعلقا

بودي مشاركتكم بتجربتي المهنية التي استمرت نحو 25 عاما. لقد أقيمت في نهاية السبعينيات أول مركز للخدمات النفسية في مدينة الناصرة، أكبر مدينة فلسطينية تقع داخل حدود إسرائيل. عند بدء العمل تبين فورا بأنني أعمل مع زبائن مختلفين عن أولئك التي تصفهم نظريات علم النفس التي تعلمتها والتي هي طبيعة الحال نظريات غربية. ردود فعلهم للاختبارات النفسية ولطرق العلاج كانت مغايرة لما هو متوقع حسب هذه النظريات. عندما كنت أسألهم عن شعورهم تجاه شخص ما، كانوا يجيبون عن مواقفهم وتقييمهم لسلكه بدلا من الإدلاء بشعورهم. عندما كنت أحاول فهم رأيهم الشخصي بقضية ما، كانوا يدلون برأي أهلهم دون تمييز واضح بين رأيهم الشخصي ورأي أهلهم. لقد كانت هذه التجربة بمثابة صدمة جعلتني أحتار وأتخبط وأشعر بالعجز، إذ كيف أستطيع معالجة شخص بينما لا أستطيع تحديد ملامح الذات لديه ومعرفة شعوره ورأيه وقيمه؟ لقد كان رد فعلي في المراحل الأولى لعملتي هو محاولة تنقيف الجمهور عن مصطلحات علم النفس مثل "المشاعر" و "الذات" و"تحقيق الذات" و"الثقة بالنفس" و"الدفاعات النفسية" و"التعزيز" وغيرها كي تكون لي لغة مشتركة تسهل عملي بينهم. لقد استغرق هذا "المشروع الساذج والعقيم" نحو 15 سنة حتى أدركت أنني الطرف الذي يجب أن يعيد النظر بالنظريات والمفاهيم التي تعلمتها والعمل على صياغة وتعديل المفاهيم بما يناسب المجتمع العربي والحضارة العربية. منذ ذلك الوقت بدأت مشروع نقد علم النفس الغربي وتطويعه وتطوير نظريات تعتمد على تفهم واحترام الخصوصية الثقافية والحضارية لمجتمعنا العربي ولبيعة المجتمعات ذات الطابع الجماعي في العالم والتي تشكل نحو 80% من سكان الكرة الأرضية.

تمشيا مع اعتقاد بول بدرس (Pedersen, 1990) بأن العوامل الثقافية والحضارية تعتبر "القوة الرابعة" في علم النفس بعد نظرية التحليل النفسي والنظرية السلوكية والنظريات الإنسانية التي وضعت الدوافع اللاواعية، والمحفزات البيئية، والذات كثلاثة عوامل رئيسية تحدد سلوك الإنسان، رحلت أبحث عن العوامل التي يمكن أن تميز بين الثقافات المختلفة في العالم. هنالك عامل رئيسي يكثر استعماله لقياس الفوارق بين الثقافات: الفردية-الجماعية Individualism-Collectivism (Triandis, 1995). اختصارا للوقت سأكتفي بهذا العامل رغم ما فيه من تبسيط، إلا أنني أود التأكيد قبل ذلك على أن أفراد المجتمع الواحد ليسوا متطابقين وهم يتوزعون بين قطبي هذا العامل، وعليه فليس كل الغربيين هم "فرديين" وليس كل العرب هم "جماعيين"، إذ ينجح توزيع مجتمع ما نحو القطب الفردي، كما هو الحال في معظم المجتمعات الغربية، بينما ينجح توزيع مجتمع آخر نحو القطب الجماعي، كما هو الحال في معظم المجتمعات الشرقية والجنوبية على سطح الكرة الأرضية ومن ضمنها المجتمعات العربية.

جنوح مجتمع ما نحو الثقافة الجماعية أو الفردية يتعلق بالتجربة السياسية والاقتصادية الجماعية لكل مجتمع. فمن الناحية التاريخية، فقط بعد قيام الدولة القومية في أوروبا خلال القرنين الماضيين، والتي أخذت على عاتقها تحمل مسؤولية رعاية وتوفير حاجات مواطنيها للعمل والمسكن والتعليم والصحة والرفاه والثقافة وغيرها، تحرر الفرد في أوروبا من التبعية الحتمية لعائلته أو عشيرته (Clan) التي سادت أوروبا في القرون الوسطى حيث لم تكن هنالك دولة ترعى احتياجات مواطنيها. حين ظهرت دولة المواطنين وبدأت تقدم للفرد ما كانت تقدمه له عشيرته من قبل، تراجعت الانتماءات القبلية والعائلية وبدأ عصر الفردية Individualism في الغرب.

layer التي تطورت وتميزت عن الأهل (شكل 2). هاتان هما مكونات الشخصية الجماعية. الفوارق الفردية بين الناس تكون انعكاساً للعلاقة بين هاتين الشريحتين. فهناك أناس تحتل الشريحة الاجتماعية جل المساحة في شخصيتهم. هؤلاء عادة أناس تقليديون يشبهون بعضهم البعض بحيث يعيشون جميعهم وفق المعايير والقيم والعادات الاجتماعية السائدة. وهناك أناس تحتل الشريحة الفردية مساحة أكبر. هؤلاء يسمون أنفسهم أن يسلكوا منهجاً فردياً مغايراً لتوقعات أهلهم ويكونون شخصية متميزة تميل للاستقلالية. في مجتمع جماعي من المتوقع أن تحتل الشريحة الاجتماعية الجزء الأكبر في الشخصية من هنا فمن المتوقع أن تكون الفوارق الفردية في هذه المجتمعات أقل منها في المجتمعات الفردية. هذه فرضية تحتاج إلى بحث ميداني لتأكيدهما (Dwairy, 1999, 2002).

بما أن مصدر الصراع والضغط في المجتمعات الجماعية هو في الأساس خارجياً فمن المتوقع أن تكون الدفاعات النفسية التي تمويه الحقيقة أمام الأنا أو الوعي الذاتي غير مجدية في هذه المجتمعات، وأن يكون الفرد بحاجة إلى آليات دفاع تحميه من المراقبة الخارجية والعقاب الخارجي من الأهل والمجتمع. لذلك فالأفراد في المجتمعات الجماعية يعتمدون في حل صراعاتهم على آليات مواجهة اجتماعية Social coping skills والتي ينشؤون عليها تساعدهم على تمويه الحقيقة أمام المراقبة الخارجية. من بين آليات المواجهة الاجتماعية هذه المسابرة والاستغابة والقهولية والتماهي مع القاهر. إن هذه الآليات مجتمعة تحقق ما هو مستحيل بواسطة مراوغة وتمويه تشبه تلك التي تقوم بها الدفاعات النفسية في الشخصية الفردية المستقلة. المسابرة تعتبر قيمة اجتماعية عليا في المجتمع العربي بحيث يخفي وفقها الفرد ما يزعج الآخرين وييدي في المقابل مع يتمشى مع توقعاتهم. الأمر يتطلب طبعاً نوع من التنازل والانضباط المقرون بشيء من التمويه. أما الاستغابة فهي الآلية التي تحقق التوازن أمام المسابرة، فالاستغابة تساعد الفرد على تحرير الرغبات التي كبتها أو لم يستطع التعبير عنها أمام الآخرين خاصة أمام من يُعتبرون سلطة اجتماعية بالنسبة له. تحرير الرغبات والمشاعر والتعبير عن القيم في حالة الاستغابة يجري في غياب المراقبة الاجتماعية ومن هنا جاء تعبير الاستغابة. المسابرة والاستغابة معا تجعلان الفرد يروّج عن نفسه دون الاصطدام مع من حوله ودون أن يدفع ثمن مشاعره وآرائه غير المقبولة، وتحافظان على تماسك ووحدة المجتمع. الشخصية القهولية هي شخصية أشار لها الباحث حامد عمار (Ammar, 1964) ووصفها أنها تتقن التلاعب بالعديد من آليات المواجهة مثل المسابرة والاستغابة وتضخيم الذات وغيرها. التماهي مع القاهر آلية أخرى شائعة لدى الكثير من الشعوب المقهورة يتماهى فيها المقهور بشكل غير واعي مع قاهره لينفذ نفسه من الشعور بالقهر وليتمتع بشكل وهمي بشيء من القوة والسيطرة (Freire, 1970/1995).

نظريات الاضطرابات النفسية

مفهوم الاضطراب النفسي في الغرب يعني اضطراب في النظام النفسي الداخلي (intra-psyche) يؤدي إلى ظهور عوارض قلق أو اكتئاب أو عوارض سايكوسوماتية. هناك أدبيات غربية عديدة تدعي أن الاضطرابات النفسية لدى الشعوب التقليدية الجماعية تظهر بشكل جسدي أكثر مما تظهر في النفس. الباحثين الغربيون يطلقون على هذه الظاهرة إسم التجسيد Somatization. إن هذه التسمية معتمدة على الفصل بين الجسد والنفس السائد في الفكر الغربي، لذلك فهي مغلوطة في المجتمعات التقليدية الجماعية التي لا يوجد فصل فيها أصلاً بين النفس والجسد، والناس هناك تعبر عن مشاعرهم بواسطة أجسادهم أيضاً. الأجساد تأخذ دوراً مركزياً في التجارب النفسية والاجتماعية في المجتمع العربي. فمثلاً

بأهله، أو أنه يعاني تثبيتاً أو نكوصاً أو انقسام، وهذا خطأ وخيم يقع فيه كل خبير لا يتطلى بفهم وحساسية حضارية.

في بحث قمت به وزملائي في ثمانينيات مجتمعات عربية تبين فيها أن تعلق الفرد بعائلته في هذه المجتمعات يفوق تعلق الفرد الأمريكي بعائلته مراحل الانفصال النفسي والاجتماعي للإنسان العربي لا تنتهي بالانفصال الكامل بل الجزئي فقط (Dwairy, 2004; Timimi, 1995)، (كما هو مبين في الشكل 1) ولا يعتبر هذا أقل نضوجاً من الانفصال الكامل بل إن الانفصال الكامل في مجتمع جماعي ربما يعتبر نوع من المغامرة أو المخاطرة ويعتبر تهديداً للنسيج الاجتماعي الذي يضيف التكامل والأمان على الأفراد في هذا المجتمع. المجتمعات الجماعية ليست أقل نضجاً من تلك الفردية إذ لا أعتقد بأن الفردية هي طريق التطور الحتمي أو الوحيد أمام المجتمعات. الفردية نمط تطور سار به الغرب وحقق نجاحات ملموسة رغم أنه دفع ثمناً مملوساً أيضاً من حيث الشعور بالوحدة والاعتراب والقلق كما وصف لنا ذلك أريك فروم في كتابه "الهروب من الحرية" وكتابه "أن تملك أو أن تكون". هناك مسارات تطور أخرى نراها في اليابان وبعض دول جنوب شرق آسيا التي حققت هي الأخرى نجاحات ملموسة دون التنازل عن المبنى الجماعي فيها بل ربما بواسطة تسخيرها من أجل إحداث تطور اقتصادي وعلمي وتكنولوجي ملموس. لذلك فمن الخطأ اعتبار النمط الجماعي أو الشخصية الجماعية غير المستقلة نمط متخلف أو شخصية متخلفة (Dwairy, 1998a; Dwairy, & Van Sickle, 1996).

نظريات الشخصية

نظريات الشخصية الغربية تحاول تحديد مبان (constructs) نفسية وسيروورات (processes) تجري بين وداخل هذه المبان والتي من شأنها تفسير سلوك الفرد وتفسير العوارض النفسية التي يبيدها. فنظريات التحليل النفسي تعتمد في تفسيرها على مبان مثل الأنا والأنا الأعلى وسيروورات مثل الدفاعات النفسية. النظريات الإنسانية تعتمد على الذات وعلى تحقيق الذات، هنالك نظريات أخرى مثل نظريات ال Transactional Analysis تعتمد مبان مجازية مثل الوالد، والراشد، والولد. القلق وفق هذه النظريات نابع من صراع بين الأنا الأعلى والغرائز أو نابع من عدم توافق بين الذات الحقيقية والذات المزيفة. جميع هذه التفسيرات تقع داخل حدود "الملعب" النفسي الفردي وتتجاهل إلى حد كبير الصراعات البين-شخصية (inter-personal) أو داخل العائلة وتتجاهل أيضاً الضغط الناجم عن المراقبة الفعلية للمجتمع والتهديد الذي يعيشه الفرد فيما إذا عصى توقعات الأهل والمجتمع.

طالما أن الصراعات تجري لدى الشخصية المستقلة بداخل الملعب النفسي للفرد وطالما أن مصدر الضغط والمراقبة هما داخليين، لذلك فمن الطبيعي أن يكون بمقدور الدفاعات النفسية أو أي مراوغة نفسية داخلية أن تخفف القلق والضغط بواسطة تمويه الحقيقة أمام المراقب الداخلي وهكذا تخفف القلق وتحسن الثقة بالنفس بفضل هذه المراوغة والتمويه.

أما في المجتمعات الجماعية فإن شخصية الفرد كما قلنا تكون شخصية جماعية وغير مستقلة عن الأهل لذلك فمكوناتها تختلف عن مكونات الشخصية المستقلة والصراعات التي تعانيها ليست نفسية في أساسها بل بين-شخصية (inter-personal). من الصعب تحديد ملامح مبنى نفسي مستقل بداخل الشخصية الجماعية. الذات والأنا والأنا الأعلى والذات المثالية وغيرها هي مبان غير مستقلة أو جماعية يشترك فيها الفرد ومجموعة انتمائه. المكونات الأساسية التي يمكن تمييزها بداخل الشخصية الجماعية هي الشريحة الاجتماعية (Social layer) التي هي مشتركة وغير مستقلة عن الأهل، والشريحة الفردية أو الخاصة Private

والتذكر وغيرها. إختبارات الشخصية تقيس صورة الذات، صورة الآخر، قدرات الأنا (Ego strength)، الدفاعيات النفسية، الصراعات النفسية، درجة القلق وطرق مواجهتها وغيرها من المباني والسيروورات. عندما يتحلى الفرد بشخصية مستقلة يكون من المهم التعرف على هذه المركبات الداخلية في الشخصية إلا أنه حين تكون الشخصية جزء لا يتجزأ من عائلة أو مجتمع كما هو الحال في المجتمعات الجماعية، فيكون من المهم التعرف على العوامل والسيروورات بين-الشخصية أو داخل الوحدة العائلية (intra-familial) أو الاجتماعية التي تفسر سلوك الفرد وتفسر صراعاته ومصادر معاناته وموارد الدعم في حياته (Dwairy, 2002).

من أهم العوامل التي يجب الاهتمام بقياسها في المجتمعات الجماعية هي مدى الانفراد (individuation) أي مدى تكون مبان داخلية مستقلة للذات. كما جاء سابقاً فإن درجة الانفراد تتراوح بين الانفراد التام وبين التعلق شبه التام. فليس جميع العرب غير مستقلين وليس أن جميعهم في درجة انفراد واحدة. تحديد درجة الانفراد للعميل (client) توجه بالتالي المعالج بتحديد نهجه العلاجي والدرجة التي يجب أن يتركز فيها العلاج في الحقل الذاتي وفي الحقل العائلي والاجتماعي. بكلمات أخرى يمكن القول بأن التشخيص يجب أن يقيس الشريحة الفردية والشريحة الاجتماعية والعلاقة بينهما في الشخصية. كذلك يجب قياس مصادر الضغط والصراع بداخل نسيج العائلة والمجتمع وطرق المواجهة التي ينتهجها العميل ومدى نجاعة هذه الطرق. لتشخيص هذه العوامل هناك ضرورة لتحديث طرق تشخيص للفرد في سياق مجموعته وبيئته. نظراً لضيق الوقت أكتفي بإيراد مثالين للتشخيص المرجو.

مقابلة الشخص بداخل ثقافته Person-in-culture interview:

هي "مقابلة مقننة" جرى تطويرها بواسطة Berg-Cross, & Chinen (1995). وتتألف هذه المقابلة من 25 سؤالاً رئيسياً وتستقصي أربعة مجالات عامة كل منها تشكل محور اهتمام نظرية نفسية ما مثل مجال المشاعر والغرائز التي تهتم نظرية التحليل النفسي، ومجال الرغبات وتحقيق الذات الذي يهتم النظريات الإنسانية، ومجال القيم وفلسفة الحياة والوجود الذي يهتم النظريات الوجودية، ومجال العلاقات الأسرية التي تهتم النظريات النظامية والعائلية. الخاص في هذه المقابلة هو أن الأسئلة تستقصي جوانب مختلفة من حياة المقابل بالمقارنة مع أهله. فمثلاً عندما يُسأل المقابل عما يسبب له الحزن مثلاً، يُسأل بعدها عما يسبب الحزن لأهله، أو عندما يُسأل عما يجعله يخجل بنفسه يُسأل بعدها عما يجعل أهله يخجلون منه أو من أنفسهم. بهذه الطريقة يمكن للمقابل أن يكون فكرة واضحة عن مدى انسجام الفرد مع أهله أو عن وجود صراعات بينهما.

التحدث عن الذات من خلال التحدث عن غرض

هذه طريقة تشخيص تم تطويرها بواسطة كاتب هذه المقالة (Dwairy, 2001). وقد تأسست هذه الطريقة على تعلق الإنسان العربي نفسياً وعاطفياً ببيئته الفيزية، فتحاول هذه الطريقة الوصول إلى هذه العواطف والذكريات من خلال التحدث عن أغراض في بيئته. إنها طريقة غير مباشرة لفهم شخصية المقابل الذي يجد صعوبة في التعبير عن نفسه ومشاعره بشكل مباشر. لإجراء هذا النوع من المقابلة يُطلب من الشخص إحضار غرض من بيئته للمقابلة القادمة على أن يكون هذا الغرض ذا معنى أو دلالة أو أهمية بالنسبة له. إن مجرد هذا الطلب يوجه ذهن المقابل نحو بيئته الفيزية لينتقص علاقته بها ومعناها له ليقرر فيما إذا سيحضر كتاباً أهده إياه أبوه عند تخرجه، أو إبريق القهوة الذي بقي له من والدته المتوفية، أو شبكة زواج أو صورة أو غيرها. الأمر المذهل في هذه الطريقة هو أنها تكشف

تتاول الطعام الذي هو عملية جسدية له دلالاته الاجتماعية والنفسية في المجتمع العربي. فتقديم الطعام للضيف هو تعبير عن مشاعر حميمة وموقف إيجابي بغض النظر عن حاجة الضيف للطعام. تتناول الطعام المقدم يعتبر تعبيراً عن مبادلة الضيف المشاعر الحميمة والموقف الإيجابي للمضيفين. الطعام والرقص هما تعبيران عن الفرح في جميع المناسبات السارة.

يعرف معجم علم النفس الإحصائي الرابع DSM IV الاضطرابات السايكوسوماتية على أنها اضطرابات تظهر في الجسد إلا أن أصلها في النفس. يبدو في هذا التعريف الفصل الواضح بين النفس والجسد لذلك فعندما يكتشف الباحثون انتشار العوارض الجسدية يعتبرون ذلك نوع من التجسيد Somatization للمشاكل النفسية. أعتقد أنه من الأصح أن نقول بأن الشعوب الغربية التي فصلت النفس والجسد تميل إلى تنقيس Psychologization للاضطرابات والضغط التي هي في الأصل نفسجسدية.

هنالك أبحاث عبر-حضارية تؤكد بأن الصورة السريرية للاضطرابات النفسية لدى الشعوب التقليدية الجماعية لا تطابق تلك الصورة التي يحددها معجم علم النفس الإحصائي DSM IV. فمثلاً الاكتئاب الذي يعتبر اضطراباً في المزاج Mood disorder ويتميز بالحزن واليأس والعجز والوحدة والشعور بالذنب في الغرب، يظهر في المجتمعات التقليدية الجماعية في كثير من الأحيان بشكل جسدي دون ظهور الحزن واليأس والعجز. بدل الشعور بالوحدة أحياناً يشكو مريض الاكتئاب في هذه المجتمعات من كثرة الناس من حوله لدرجة لا تبقى له حيزاً شخصياً. وبدل الشعور بالذنب يشعر أحياناً المريض بالشعور بالخجل أمام من حوله خاصة عندما يفقد القدرة على مواصلة قيامه بواجباته الأسرية والاجتماعية. صورة الاكتئاب هذه مختلفة تماماً عن الاكتئاب الموصوف في معجم علم النفس الرابع.

كذلك صورة الاضطرابات الذهانية تختلف في المجتمعات التقليدية الجماعية. الذهان السائد في هذه المجتمعات هو ذهان يظهر بشكل فجائي نتيجة فاجعة أو صدمة ويكون حاداً ومتنوع العوارض ويشمل خوف واكتئاب وعدوانية وأوهام وتبهؤات وغيرها من العوارض. الملفت للنظر هو أن لقسم كبير من هذه الحالات لا يوجد تاريخ مرضي لأفراد الأسرة ومعظمهم يعودون لحالتهم الطبيعية خلال سنة. هنالك أبحاث تلمح إلى أن احتمالات تحسن المرضى بداخل الأسر الممتدة (extended) تكون أعلى من احتمالات تحسن أولئك الذين يعيشون في أسر نواتية (Dwairy, 1998a).

هنالك كثير من الاضطرابات الشائعة في الغرب لا تعتبر اضطراباً لدى العرب. فمثلاً اضطراب البرود الجنسي لدى المرأة أو القذف المبكر لدى الرجل لا تعتبر اضطرابات في المجتمع العربي. هنالك اضطرابات تكاد تكون معدومة في بعض المجتمعات العربية التقليدية كاضطرابات الأكل مثل Anorexia & Bulimia. هنالك اضطرابات شخصية Personality disorders معرفة في المعجم النفسي يمكن أن تكون عادية وشائعة في المجتمع العربي. فمثلاً العوارض المحددة لاضطراب الشخصية التبعية Dependent personality disorder هي عوارض شائعة لدى الإنسان العربي الذي هو بطبيعة الحال غير مستقل نفسياً واجتماعياً (Al-Issa, 1995; Bazzoui, 1970; Dwairy, 1998a, 1998b; World Health Organization, 1992).

نظريات التشخيص النفسي

التشخيص النفسي السائد في الغرب يهدف في الأساس إلى تقويم (assessment) المباني والسيروورات النفسية بداخل شخصية الفرد. فإختبارات الذكاء تقيس نسبة الذكاء والقدرات الذهنية كالإدراك والفهم

إعادة صياغة العلاقة مع البيئة الاجتماعية

ربما أول ما يخطر ببال القارئ وبحق أن العلاج الأسري Family therapy هو العلاج الأنسب للعملاء العرب ومع هذا يجب التنبيه إلى أن كثير من مدارس العلاج الأسري تنتهج فيما فردية تعطي مكانة متساوية لأفراد العائلة. إن علاجا كهذا يصطدم اصطداما سافرا مع المبنى الهرمي السلطوي للأسرة العربية أو للحمولة العربية وبالتالي يمكن للعلاج الأسري هذا أن يهدد سلطة العائلة (الأب أو الوالدين) ويجعلها تجهض مساعي المعالج. لذلك فعند العمل مع الأسر العربية هنالك ضرورة لتحايد الصدام مع سلطة الأسرة، بل هنالك حاجة لتفهمها وربما التماهي معها لكي تصبح جاهزة لتقبل التغيير. وهنا يمكن أن نتساءل بحق كيف نتفهم ونتماهي مع سلطة ربما تكون قامعة وتشكل مصدر الضغط الذي يعاني منه العميل؟

انتهاج موقف متفهم ومتماهي مع سلطة العائلة ليس هو من باب الأمر الواقع الذي لا بد منه تحاشيا لإجهاض العلاج فحسب بل أيضا من باب فهمنا الاجتماعي والنفسي لهذه السلطة التي تربت على قيم جماعية تلتزمها التجارب مع توقعات وضغوطات البيئة الاجتماعية من جهة، مما يجعلها بالتالي ضحية تحاول حماية نفسها بواسطة الضغط على أبنائها وبناتها من جهة أخرى. يمكن الافتراض أن بداخل سلطة العائلة تناقضات يمكن استثمارها من أجل إعادة صياغة علاقة العميل ببيئته الاجتماعية. هذه التناقضات قائمة بداخل الشخص الواحد كالأب مثلا وبداخل السلطة الجماعية للعائلة كوجود جزء من العائلة يميل لنهج آخر عن النهج السائد فيها. لنأخذ الأب القامع مثلا هل يستطيع المعالج الوصول إلى عناصر أخرى في شخصيته مثل حبه لأبنائه وقلقه عليهم أو خجله وخوفه من المجتمع وعجزه عن مواجهته؟ وصول المعالج إلى هذه العناصر في شخصية الأب تجعل هذا الأخير يأمن المعالج ويكون على استعداد لإعادة النظر في نهجه القمعي السابق وتجعله يكتشف أن هذا النهج ربما أراحه من جهة لكنه يتعارض مع عناصر أخرى في شخصيته مثل حبه لأولاده أو خوفه عليهم. الوصول للعناصر غير القامعة في شخصية الأب والتماهي معها من جهة وتقوية وتدعيم الأب Empowerment من جهة أخرى بواسطة تفسير النقلة Transference (جعله يعي أنه يواصل وهو راشد، نفس النهج الخضوعي الذي انتهجه حين كان طفلا عاجزا) أو بواسطة تسخير قيم ومقولات دينية أو اجتماعية تطهيه شرعية التغيير أو بتوجيهه للتخالف مع أعضاء آخرين بداخل العائلة الموسعة الذين يميلون لنهج مختلف عن النهج السائد، كل ذلك من شأنه أن يدفع هذا الأب القامع نحو التعاون وتقبل التغيير وبالتالي السماح بإعادة صياغة مكانة وعلاقة العميل بعائلته.

فحص نجاعة آليات المواجهة الاجتماعية

المسايرة والاستغابة والتماهي مع القاهر كلها آليات مواجهة اجتماعية تهدف إلى الحفاظ على تأقلم الفرد مع مجموعة انتمائه، مقابل أن يحظى بالدعم المادي والمعنوي الحيويين لبقائه في مجتمعه الجماعي. أحيانا يحدث أن تخفق هذه الآليات في تحقيق التوازن في داخل مجموعة الانتماء أو في تحقيق الدعم المادي والمعنوي (Dwairy, 2002). حضر شخص (27 سنة) للعلاج بسبب عوارض اكتئاب وعوارض سايكوسوماتية. وبفحص علاقته مع أهله تبين أنه يتفانى في مسايرة والديه ويتماهي معهما ويحرم على نفسه استغابتهما ولكنه في المقابل لا يحظى بتقديرهما وبدعمهما بل ويشعر أنهما يفضلان أخاه البكر عليه رغم أن ذلك الأخ لا يقدم جزءا مما يقدمه العميل لأهله. في هذه الحالة نرى أن آليات المواجهة قد أخفقت. فقد حاول العميل تحسين موقعه في نظر أهله بواسطة المزيد

بأن الأغراض التي تعتبر جمادا، هي أغراض مشحونة بالمشاعر وبالذكريات العميقة جدا، وتوصلنا عادة إلى أهم الصراعات أو الأحداث الهامة في حياة المقابل مع أهله والتي لها دلالة هامة للمشكلة التي توجّه بسببها للعلاج. ويكتشف السيكولوجيون الذين يستعملون هذه الطريقة خلال الحديث عن الغرض أن ثمة عملية إسقاط نفسية هامة تجري وترفع مضامين هامة للوعي ربما تفوق أهميتها على المضامين التي يمكن الوصول إليها من خلال عملية الإسقاط على صور اختبار TAT أو لوحات اختبار رورشاح. يمكن النظر إلى الأغراض التي يحضرها المقابل على أنها رموز Metaphors يمكن أن تسخر في علاج ميتافوري أيضا. في الجزء الثاني من المقابلة يُسأل المقابل عما يريد أن يفعله بالغرض الذي تحدث عنه. فهناك من يقرر التخلص من هدية تلقاها من والده القامع، وآخر يقرر تجديد استعمال إبريق القهوة الذي كان ملقى من قبل في المخزن. إن هذا التغيير في موقع أو مكانة الغرض لهو تجسيد رمزي لتغيير نفسي للمقابل. لفهم كيفية استعمال هذه الطريقة أنظر إلى (Dwairy, 2001, 2003).

نظريات العلاج النفسي

أهداف العلاج النفسي الغربي تختلف باختلاف النظرية المنتهجة. فالتحليل النفسي يهدف إلى جعل "ما هو غير واع واعيا"، والعلاج الإنساني يهدف إلى جعل العميل "يحقق ذاته" والعلاج السلوكي يهدف إلى تغيير السلوك بحيث يصبح العميل إصراريا وحازما (assertive).

علما بأن المجتمعات الجماعية وبضمنها العربية تمنع التعبير عن بعض المشاعر والرغبات ومنع إطلاق العنان لتحقيق الذات وترى بالسلوك الإصراري نوعا من الأنانية أو الفظاظة، فإن العلاج النفسي الغربي على أشكاله يجعل كثير من الممنوعات الاجتماعية تتحرر في ذهن العميل وتتعبس في سلوكه مما يدفع بالعميل إلى مواجهات جديدة حادة مع بيئته الاجتماعية. علما بأن العميل في كثير من الأحيان يكون الطرف الأضعف في هذه المواجهات فمن المتوقع أن يكون هو الطرف الخاسر وهكذا يدفع العلاج النفسي بالعميل إلى معركة خاسرة أو إلى قمع جديد وحالة عجز ويأس جديدة وربما إلى عقابه أو إقصائه من بيئته الاجتماعية (Dwairy, 1997a). من هنا فإن العمل على تحقيق أهداف العلاج الغربية يجب أن يأتي فقط عندما يكون بإمكان العميل خوض هذه المواجهات والنجاح وفرض التغيير على بيئته الاجتماعية دون أن ينتهي الأمر بعقابه أو إقصائه. لضمان ذلك يجب تقويم ثلاثة عوامل في مرحلة التشخيص الأولى التي يتم بناء عليها وضع الخطة العلاجية. العوامل الثلاثة هي: مدى الانفراد، قدرات المواجهة، ودرجة تزمّت عائلة العميل. حين يتحلى العميل بدرجة انفراد عالية وقدرات مواجهة جيدة وتكون عائلته مرنة وتقبل التغيير، عندها يمكن للمعالج أن ينتهج العلاجات الغربية لأنه عندها يمكن للعلاج إعادة ترتيب العالم الداخلي للذات وتشجيع العميل على التعبير عن مشاعره المكبوتة وتحقيق ذاته مع شيء من الصدمات غير الحادة والتي تنتهي بنقل الأسرة للتعبير. أما حين يتبين في مرحلة التشخيص بأن العميل غير مستقل الشخصية، ولا يملك قدرات مواجهة وتكون عائلته متزمتة، عندها يجب الحذر من جعل ما هو غير واع (الممنوعات) واعيا ومن تشجيع العميل على تحقيق ذاته على انتهاج سلوكا إصراريا، بل يجب البحث عن طرق تساعده في تهدئة معاناته بداخل البيئة الاجتماعية والثقافية بواسطة طرق تدخل تعيد ترتيب النظام الأسري بالتعاون تام مع سلطة الأسرة وبواسطة طرق علاج للعوارض أو طرق علاج غير مباشرة كما هو مقترح أدناه:

علاج يسْغَن العوارض

بالإضافة إلى كل طرق العلاج المذكورة أعلاه تبقى هناك إمكانية لمساعدة العميل العربي غير المنفرد عن أهله والذي لا يتحلى بقدرات نفسية قوية والذي ينتمي لأسرة متزمتة بواسطة علاجات تهدف إلى تسكين العوارض كالعلاج الدوائي أو كف العوارض بواسطة قوانين التعلم والعلاج السلوكي. في حالات القلق يمكن أن يكون الاسترخاء طريقة ناجعة لتعليم العميل كيفية التحكم بالقلق. يمكن اعتبار بعض أنواع العلاج الشعبي علاجات تسكن المعاناة أو تزيل العوارض بواسطة طقوس أو إجراءات تحدث تأثيراً علاجياً لا يمكن الاستغناء به لدى من يؤمن بها دون تأجيح صراعات غير قابلة للحل (Dwairy, 2002).

تلخيص

لقد عرضت في محاضرتي الخصائص الثقافية العربية التي تختلف عن الثقافة الغربية. علماً بأن الإنسان هو نتاج ثقافة ومجتمع ما لذلك فإن فهم الإنسان العربي يجب أن يتأسس على فهم الخصوصية الثقافية والحضارية وعليه فإن علم النفس الغربي الذي تطور لفهم الإنسان الغربي يتطلب إعادة نظر وتقييم مجدد وربما إدخال تطورات وإحداثيات عليه ليساعدنا أكثر على فهم الإنسان العربي وفهم آليات تطوره، وسلوكه، وعلاجه. محاضرتي هذه هي محاولة لإعادة النظر في نظريات التطور، الشخصية، الاضطرابات النفسية، التشخيص النفسي، والعلاج النفسي. الأفكار والاقتراحات التي أوردتها هي نتاج خبرة اكلينيكية طويلة ومعتمدة على أدبيات نفسية وثقافية، وهي جزء من محاولات صياغة معددة لعلم النفس في دول غير غربية عديدة. أرجو اعتبار ما جاء في محاضرتي بمثابة فرضيات ومقدمات لصياغة علم النفس في المجتمع العربي وهي بداية يجب أن تستمر بالاعتماد على خبرات معالجين آخرين وبالاعتماد على أبحاث ميدانية لفحص هذه الفرضيات وتطورها.

ملاحظة للمحرر: لقد أضفت بعض المصطلحات الأجنبية بين قوسين لتسهيل الترجمة فقط. في النص العربي أرجو إسقاط كل المصطلحات الأجنبية التي بين قوسين وإبقاء فقط المصطلحات التي بدون قوسين وأسماء العلماء التي اقتبسها.

References

- Al-Issa, I (Ed.). (1995). *Handbook of culture and mental illness: An international perspective*. Madison: International University Press, Inc.
- Ammar, H. (1964). *Fee binaa' el-bashar*: Cairo: Manshurat Sars ellaian (in Arabic).
- Barakat, H. (2000). *Al mojtamaa' Al Arabi Fi Al qarn Al Eshreen*. Beirut, Lebanon: Markaz Derasat Al wehda Al Arabish. (in Arabic)
- Bazzoui, W. (1970). Affective disorders in Iraq. *British Journal of Psychiatry*, 117, 195-203.

من المساييرة والتفاني لكن عبثاً إلى أن ظهرت عوارض الاكتئاب. نظراً لأن درجة الانفراد النفسية لهذا العميل كانت ضئيلة جداً ومقدرته على مواجهة ضعيفة وعائلته تقليدية ومتعصبة جداً لصالح الإبن البكر، لم تكن من الحكمة إثارة غضبه على سوء معاملة الأهل ودفعه نحو الانفراد أو المواجهة، بل كان يكفي أن يعطى شرعية التقليل من المساييرة للدرجة التي يشعر أنها أصبحت توازي ما يأخذه من دعم من والديه. لإقناعه بشرعية هذا التغيير تم تسخير بعض المقولات الشائعة مثل: "كما تعامل تعامل" وغيرها من المقولات المأخوذة من صميم عالمه القيمي.

يتضح من المثال السابق أنه لا يوجد مقدار مطلق من المساييرة أو التحدي والذي يجب أن ينطبق على الجميع، بل أن مقدار التحدي يجب أن يناسب مقدرة الشخص على الصمود واستعداد عائلته لامتناس هذا التحدي. أثناء العلاج يجب على المعالج وضع قيمة الشخصية وما يناسبه هو من مقدار التحدي جانباً، لأن ما يناسبه وما يناسب مقدرات صموده تكون على الأغلب لا تتناسب الزبون الذي توجه للعلاج بعد أن خارت جميع قواه. العلاج النفسي ليس هو المكان الصحيح لإجراء تغييرات قيمية ثورية في المجتمع، بل المكان لمساعدة العملاء، للذين هم الفقرة الضعيفة في هيكل المجتمع، على استعادة توازنهم وسعادتهم، أما الثورية فمكانها على جميع المنصات الثقافية والاجتماعية الأخرى. إن التعامل مع العملاء على أنهم الجنود الذين سيحققون التغيير الاجتماعي الثوري ما هو إلا نوع آخر من الإساءة لهم بل واستغلالهم لإرضاء حاجات المعالج الشخصية.

العلاج غير المباشر

نظراً لأن مصدر الصراع والضغط لدى العميل العربي يتعلق بعلاقته مع أهله ونظراً لأن كشف هذه الصراعات أمام معالج غريب كثيراً ما تثير الشعور بالذنب، فإن دفعه لفتح هذه الصراعات ربما تكون عملية تحريض توجب الصراعات لديه أو ربما تجعله يترك العلاج. هنالك عدد من العلاجات التي تتعامل مع صراعات العميل بشكل غير مباشر منها العلاج المجازي (الميتافوري Metaphor therapy) والعلاج بواسطة القصص والنصوص (Biblio-therapy) والعلاج بواسطة الفنون (Art therapy). في هذا النوع من العلاجات يجري الحديث عن شخصيات والتعامل مع رموز تمثل بشكل غير واع شخصيات وصراعات عاشها أو يعيشها العميل في عائلته. أثناء الحديث أو التعامل مع هذه الرموز تطفو جميع المشاعر والأفكار المقبولة وغير المقبولة إلا أنها تكون منسوبة إلى شخصيات أو رموز القصة أو الميتافور أو العمل الفني. كذلك يجري البحث عن حل للمآزق التي تظهر في القصة أو الميتافور. إنها تجربة عاطفية وذهنية واجتماعية يتم فيها تحليل الصراعات والبحث عن حل في مجال الخيال والرموز. ربما يتساءل القارئ كيف يساعد هذا التحليل الخيالي الزبون في حياته الفعلية؟ الأدبيات النفسية خاصة السايكودينامية مليئة بالأفكار التي تشرح وتوثق العلاقة الرمزية بين التجربة النفسية الحقيقية وبين الخيال والأحلام. فالتجربة النفسية خاصة غير الواعية وكذلك التجربة الجسدية تنعكس في خيالات وتحيوات وأحلام. الأمر المهم هنا هو أن نعي بأن هذه العلاقة ليست باتجاه واحد بل باتجاهين. فكما أن التجربة النفسية الفعلية تنعكس في الخيال والأحلام فكذلك الحديث عن الأحلام والتحدث عن سيرورات وحلول خيالية في قصة أو ميتافور أو عمل فني تنعكس أيضاً في التجربة النفسية الفعلية وتترك أثرها هناك حتى دون أن يكون العميل واعياً لذلك. هنالك نموذج بيولوجي-سايكولوجي-اجتماعي نشرته قبل عدة سنوات يشرح طرق العلاج الميتافوري ويفسر تأثيره بطريقة علمية والذي أراه مناسباً جداً للعلاج غير المباشر الذي يتحايد فتح صراعات لا يمكن حلها في العلاج (Dwairy, 1997b) (انظر شكل 3).

- Dwairy, M. (2002). Foundations of a psycho-social dynamic personality theory of collective people. *Clinical Psychology Review*, 22, 343-360.
- Dwairy, M. (2003). Components of physical environment as metaphors in therapy. *Annals of the American Psychotherapy Association*, 6(1), 34-40.
- Dwairy, M. (2004). Internal-structural validity of Objective Measure of Ego-Identity Status among Arab adolescents. *Identity: An international Journal of Theory and Research*, 4(1).
- Dwairy, M., Achoui, M., Abouserie, R., & Farah, A. (2006). Adolescent-family connectedness among Arabs: A second cross-regional research study. *Journal of Cross-Cultural Psychology*, 37(3), 248-261.
- Dwairy, M., & Van Sickle, T. D. (1996). Western psychotherapy in traditional Arabic societies. *Clinical Psychology Review*. 16(3), 231-24.
- Freire, P. (1970/1995). *Pedagogy of the oppressed*. New York: Continuum.
- Pedersen, P. B. (1990). The multicultural perspective as a fourth force in psychology. *Journal of Counseling and Development*, 70, 3-14.
- Timimi, S. B. (1995). Adolescence in immigrant Arab families. *Psychotherapy*, 32, 141-149.
- Triandis, H. C. (1995). *Individualism and collectivism*. San Francisco: Westview Press.
- World Health Organization. (1992). *The ICD-10 Classification of Mental and Behavioral Disorders. Clinical descriptions and diagnostic guidelines*. Geneva: WHO.
- Berg-Cross, L., & Chinen, R. T. (1995). Multicultural training models and the person-in-culture interview. In J. G. Ponterotto, J. M. Casas, L. S. Suzuki, & C. M. Alexander. *Handbook of Multicultural Counseling*, p. 333-356. Thousand Oaks: Sage Publications.
- Dwairy, M. (1997a). Addressing the repressed needs of the Arabic client. *Cultural Diversity and Mental Health*, 3(1), 1-12.
- Dwairy, M. (1997b). A biopsychosocial model of metaphors therapy with holistic cultures. *Clinical Psychology Review*, 17(7), 719-732.
- Dwairy, M. (1997c). *Al sjakhseyah, Al thaqafah, Wal mojtamaa' Al Arabi*. Jerusalem: Al Noor. (in Arabic).
- Dwairy, M. (1998a). *Cross-cultural counseling: The Arab-Palestinian case*. New York: Haworth Press.
- Dwairy, M. (1998b). Mental health in the Arab world, In A. S. Bellack and M. Hersen (Eds.), *Comprehensive clinical psychology: Sociocultural and individual differences* (Volume 10). New York: Pergamon Press.
- Dwairy, M. (1999). Toward psycho-cultural approach in Middle-Eastern societies. *Clinical Psychology Review*, 19(8), 909-915.
- Dwairy, M. (2001). Therapeutic use of the physical environment: Talking about a significant object. *Journal of Clinical Activities, Assignments & Handouts in Psychotherapy Practice: Innovations in resources for treatment and intervention*, Volume 1(1), pp. 61-71.

Arabpsynet Psychiatrists Search



www.arabpsynet.com/CV/default.asp

Arabpsynet Psychologists Search



www.arabpsynet.com/CV/defaultPsychologists.asp

تطبيق منهجية التأصيل الإسلامي في دراسة قضية "الطبيعة البشرية"

أ. د. إبراهيم وجيب - كلية التربية جامعة الأزهر - القاهرة

iaragab@hotmail.com

المتخصصين في العلوم الاجتماعية والسلوكية ألا وهي قضية "الطبيعة البشرية" التي تعتبر أحد مكونات "البنية الأساسية" للبحث والتنظير في هذه العلوم، وحتى بالنسبة لهذا الهدف المحدود فإنه من الضروري أن نشير إلى أنه لم يكن بالإمكان استيفاء متطلبات كل جانب من الجوانب المنهجية على الوجه المرغوب، فاقترحت المحاولة هنا على ما يشبه اللحاحات التي تشير إلى ما يمكن أن يقوم به أي باحث في كل خطوة من الخطوات، أكثر من أن يكون استقصاء للموضوع ذاته بأي حال من الأحوال.

العلوم الاجتماعية والسلوكية "الحديثة" و تصورهما لماهية الإنسان

لو أننا قمنا بتحليل الافتراضات الأساسية التي تقوم عليها نظريات علم النفس الحديث فيما يتصل بالطبيعة البشرية لوجدنا مع كارل روجرز أن "لكل تيار في علم النفس فلسفته الضمنية الخاصة به عن الإنسان، وهذه الفلسفات وإن كانت في الأغلب لا تُطرح بصراحة (فإنها) تمارس نفوذها بأساليب خفية.. فالإنسان عند السلوكي مجرد آلة، آلة معقدة ولكنها مع ذلك قابلة للفهم كآلة، وفي وسعنا أن نتعلم كيف نؤثر فيه.. ليفكر.. ويتحرك... ويتصرف بالطرائق التي نختارها له، والإنسان عند الفرويديين كائن غير عقلائي، رهين ماضيه بلا فكك، وحصيلة لذلك الماضي، أي (حصيلة) عقله اللاواعي.."، ويضيف أجروس وستانسو إلى هذا النقل عن روجرز قولهم بأن نظريات علم النفس تنظر للإنسان على أنه "مجرد كائن مادي"، حيث ترى السلوكية مثلا أن "جسم الإنسان هو الحقيقة الإنسانية الوحيدة"، أما فرويد فإنه يبدأ دراسته مفترضا أنه "لا وجود إلا للمادة" (79-84، 120).

وبطبيعة الحال فإن الفرويديين والسلوكيين هم في الأساس داروينيون متزمتون في نظرتهم للإنسان والطبيعة البشرية، يقول فرانك جوبل "... لقد كان فرويد شديد التأثير بداروين، وكانت نقطة الانطلاق الأساسية عنده أن البشر إنما هم نتاج لصدفة تطورية عارضة... فالإنسان عنده هو مجرد حيوان، وليس إلا حيوانا..."، ثم ينقل عن فرويد نصا يفيد بأن الإنسان قد تولد كغيره من الحيوانات نتيجة لتأثير قوى طبيعية في المادة غير العضوية، إلا أن الإنسان يأبى إلا أن يباعد بين نفسه وبين رفاقه من الحيوانات بأن يعزو لنفسه "روحا خالدة"، وأن يدعي بأن له "خالقا مقدسا"، إلى أن جاء داروين لكي يضع حدا لهذه المفترقات التي ابتدعتها البشر... ويؤكد فرويد أن "...الإنسان ليس كائننا مختلفا عن الحيوانات ولا هو أرفع منها مقاما..." (12-13: 2004، Goble)، ويشير جوبل إلى أن السلوكيين - رغم اختلافاتهم النظرية الأخرى مع الفرويديين - إلا أنهم لم يكونوا أيضا يرون في الإنسان إلا أنه مجرد حيوان آخر، لا يختلف عن غيره من الحيوانات بأي وجه أساسي، ويضيف مستشهدا بمقولة واطسون - أحد رواد السلوكية "لقد كنا نعتقد في الماضي - كما نعتقد الآن - أن الإنسان حيوان مثل بقية الحيوانات لا يختلف عنها إلا في أنواع السلوك التي يسلكها..." ثم يستشهد بمقولة سكينز - أحد كبار قيادات السلوكية "...إن الفروق الوحيدة التي أتوقع أن أراها تتكشف بين الفئران والبشر (إضافة إلى الاختلافات الكبيرة في درجة التعقيد) إنما تكمن في مجال السلوك اللغوي" (18، p).

لا يخفى علينا أن الحديث عن أي "تطبيقات" محددة "منهجية" التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية في دراسة أي موضوع بعينه من الموضوعات التي تتدرج في إطار تلك العلوم في هذه المرحلة يعتبر أمرا سابقا لأوانه إلى حد ما، ذلك أن أخص ما يتميز به "المنهج" إنما يتمثل في الاتساق والتتابع والانتظام... الأمر الذي يستحيل معه القفز فوق أي مرحلة من المراحل إلى ما يليها دون مبررات علمية أو منطقية كافية... لكن مراجعة الصورة الكلية لنقدم المشروع من الناحية "العملية" قد توجد أحيانا ظروفًا واقعية تبرر شيئا من التغاضي عن بعض متطلبات حركة الفكر المنهجية استجابة لمتطلبات حركة المشاركين بالفكر من الناحية البشرية... فحقن نواجه اليوم موقفا قد أصبح فيه الكثيرون من المشاركين في مشروع التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية يتساءلون... وماذا بعد؟

لقد انتهينا إلى الاقتناع التام بالمبررات العلمية التي يقوم عليها هذا التوجه الكريم، كما تبين لنا بوضوح أن جوهر هذا المفهوم إنما يكمن في التكامل بين معطيات الوحي ومنجزات الخبرة الإنسانية، ثم إننا ندرك أن هناك تصورات مطروحة بالفعل تقدم خطوطا عريضة لمنهجية يمكن أن يتحقق بها هذا التكامل بين هذين النوعين من العلوم، ولكن هذه الإنجازات جميعا تبدو للكثيرين معلقة في فضاء التنظير مالم يتم تطبيق هذه المنهجية بشكل محدد ملموس، تتبين معه معالم هذه العملية المستمرة التي نأمل أن تنتهي بنا إلى تجاوز الفصل التعسفي الذي لازال قائما بين ما يسمى بالعلوم الشرعية و العلوم الاجتماعية والذي لم يعد له ما يبرره.

والواقع أن من يطالبون بنتائج تطبيقية ملموسة للمنهجية التي تجسد الأطر التصورية العامة للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية قد يكون لهم بعض العذر، ذلك أنهم يرون أنه لم يحدث تقدم كبير على صعيد الانتقال إلى مرحلة البحوث التطبيقية المنظمة، التي يمكن أن تكون بدورها بمثابة النواة التي يكون لها من إمكانات التراكم حولها ما يسمح لكل باحث أن يبدأ من حيث انتهى إخوانه على الوجه المألوف في مسيرة العلم.

والمشاركون في جهود التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية يدركون أنها في جوهرها عملية بحثية طويلة الأمد، تحتاج وقتا كافيا لظهور ثمارها، ولكنهم يشعرون أيضا أن هذا أمر يمكن فهمه ولكن بشرط واحد: أن يستشعر المشاركون في المشروع أن هناك بالفعل تقدما يذكر (مهما كان بطيئا) وبشكل مضطرب وفي طريق راشد يمكن أن يجتمع حوله الباحثون عن الحق.

ومن هنا فإن الهدف من هذه الورقة - في ضوء ما تقدم - ليس إلا مجرد الاستجابة لتلك الحاجة الأتية المحدودة، وذلك بتقديم بيان عملي ملموس نحاول فيه تطبيق الإجراءات المنهجية للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية (في أحد أوجهها فقط: أقصد مرحلة التنظير المبدئي المتكامل، وليس مرحلة البحوث لاختبار التنظير) في دراسة أحد الموضوعات الذي نظن أنه يمكن أن يمثل قاعدة أساسية يشترك في الاهتمام بها كل

(1) الإنسان في التصور الإسلامي "كائن فريد" خلقه الله سبحانه وتعالى -مبدع هذا الكون وصاحب التصرف المطلق فيه- وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً ، وقد اقتضت مشيئته تعالى خلق الإنسان لغاية أو لوظيفة رئيسة تتمثل في "عبادة الله " المتضمنة لمعرفته وتعظيمه وطاعة أمره ، والقيام بما شرع لعمارة الأرض التي استخلفه فيها.

(2) الإنسان مخلوق من عنصرين "جسد" من طين ، و "روح" نورانية من أمر الله تحل في الجسد فتحياه ، (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (الحجر 28-29) ، وأيضاً (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (السجدة 7-9) ، وينتج عن اندماج الروح والبدن "نفس" تدبر هذا المخلوق وتعطيه وحدته وتكامله .

(3) يترتب على الطبيعة المادية الطينية للجسد وجود ميل طبيعي في النفس للإفراط وتجاوز الحدود، ومبعت هذا التجاوز هو "ضمان" ما يستهدفه الإنسان من المحافظة على بقائه واستمرار وجوده حيا ، مما ينتج في النفس الإنسانية صفات تجاوزية كنفاد الصبر والاستعجال" لما ليس عندها، " والشح والبخل" بما عندها ، والبطر والفرح والعجب" بما تراها تميزت به عن الآخرين ، "والجزع واليأس والهلع " عندما تفقده ، " والمرء واللد في الخصومة" إن تنازعت مع الغير وهكذا.

(4) إذا ترك لتلك الصفات التجاوزية الفرصة لأن تعبر عن نفسها تعبيراً حراً غير مقيد فإنها تصبح غير وظيفية dysfunctional ، بمعنى أن تبتني تلك الصفات على نطاق واسع وبشكل مضطرب يتعارض مع متطلبات بقاء الإنسان في حياة اجتماعية تعاونية منظمة، مع أن استمرار تلك الحياة الاجتماعية لازم لإشباع حاجاته المتعددة ، لأنه لم يخلق قادراً على إشباعها منفرداً أبداً.

(5) هنا يأتي دور الطبيعة "الروحية" للإنسان ، والتي تمثل عنصر ارتباط الإنسان بربه وخالقه ، والتي تقوم بمعادلة أو موازنة تلك الاتجاهات التجاوزية ، بما يعطى الإنسان قيمته الحقيقية كإنسان ، ويتجلى هذا الدور من خلال ما يلي:

1- يتصف الله -خالق الإنسان والكون- بكل صفات الجلال والكمال ، فهو سبحانه القوى القادر العليم الحكيم المنتقم الجبار ، الرؤوف الرحيم الغفور الودود .

2- عرف الله سبحانه وتعالى خلقه به وهم في عالم سابق على وجودهم في هذه الدنيا ، فأشهدهم على ربوبيته ووجدانيته وهم في عالم الذر، (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) (الأعراف : 172) كيلا يحتج أحد بعد ذلك بأنه كان عن هذا من الغافلين ، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد (...جَمَعَهُمْ فَجَعَلَهُمْ أَرْوَاحًا ثُمَّ صَوَّرَهُمْ فَاَسْتَنْطَقَهُمْ فَتَكَلَّمُوا ثُمَّ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ...) وفي رواية أخرى لأحمد أيضاً (...أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظُهُورِهِمْ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا مِمَّنْ يَخْلُقُ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ... فَتَرَاهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَ نَسْتِ بَرِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا...) (انفرد به الإمام أحمد) .

ومن الطبيعي أن من يسلمون بمثل هذه الافتراضات المختزلة حول الطبيعة الإنسانية، والتي لا ترى في الإنسانية أكثر من مجرد آلة أو حيوان مدفوع بدوافع مادية (ولم نطلعنا -بالمناسبة- هل لديهم بذلك من سلطان أو أثارة من علم !) لابد واصلون إلى تفسيرات للسلوك الإنساني تختلف عن تلك التي يسلم بها حتى غيرهم من أصحاب النظريات المعارضة لهم والأحدث نسبياً كأصحاب الاتجاه الإنساني Humanistic Approach (القوة الثالثة في علم النفس)، الذين يرفضون الافتراضات الأساسية للسلوكيين والفرويديين التي لم يقم عليها أي دليل علمي محقق بأن الإنسان مجرد آلة مادية أو أنه حيوان تسيره غرائزه، والذين يطالبون "بأنسنة" علم النفس بحيث يتم الاعتراف إلى جانب تلك العناصر المادية في الإنسان بأولوية تأثير الجوانب العقلية والروحية فيه ، وأخيراً فإن (القوة الرابعة) في علم النفس والمتمثلة في اتجاه تجاوز-الذات Transpersonal Psychology فإنها وإن بدأت في السنوات الأخيرة تعالج الموقف بصورة أكثر عمقا بتركيزها الواضح على الدور المحوري للعوامل "الروحية" مما يقترب أكثر وأكثر من الفهم الصحيح للنفس الإنسانية إلا أنها تتناول هذا المفهوم بطريقة شديدة العمومية. ويلاحظ أن الكثيرين من أصحاب هذه التوجهات الأحدث يستخدمون هذا الاصطلاح الأخير -أقصد الجوانب الروحية- أحيانا بمعنى الجوانب الأخلاقية والجمالية كسمات منبثقة "تطورياً" عن الجوانب الفيزيائية والبيولوجية، ولا يزالون هم أيضاً متحرجين -لأسباب لا تخفى- من الاعتراف بأن للروح وجوداً حقيقياً واقعياً كاملاً وإن كان يختلف عن الوجود المادي للبدن بأنه غير مقيد بقيود الزمان والمكان، كما يتحرجون من الاعتراف بأن الروح هي مستقر "معرفة" الله عز وجل، وبأنها هي وعاء الصلة به (راجع : رجب، 2000 لمزيد من التفصيل).

ومن الواضح أن التصور الإسلامي للطبيعة البشرية يستند إلى افتراضات تختلف اختلافاً جوهرياً عن الافتراضات السابقة جميعاً ، وإن استوعبت جوانب الحق فيها كما سنرى ، وبديهي أن هذا التصور لا بد أن يقودنا بالضرورة إلى تفسيرات للسلوك تختلف اختلافاً جوهرياً عن التفسيرات التي تقودنا إليها التصورات الوضعية المختزلة التي أشرنا إليها فيما سبق ، ورغم أن محاولة توصيف التصور الإسلامي للطبيعة البشرية تفصيلاً تستحق عملاً قائماً بذاته ، إلا أننا سنشير فيما يلي فقط إلى بعض عناصر هذا التصور لغرض المقارنة بالمسلمات والافتراضات التي وجدناها عند رجال علم النفس الحديث .

التصور الإسلامي لماهية الإنسان

إذا بدأنا بتعريف الإنسان في كتابات الإسلاميين لوجدنا أن الراغب الأصفهاني مثلاً يميز في هذا الصدد بين مفهومين للإنسان : مفهوم عام، ومفهوم خاص ، فالإنسان بالمعنى العام هو "كل منتصب القامة مختص بقوة الفكر واستفادة العلم"، وأما بالمعنى الخاص فالإنسان هو "كل من عرف الحق فاعتقده ، و[عرف] الخير فعمله بحسب وسعه"، والناس يتفاضلون بهذا المعنى، وبحسب تحصيل هذا المعنى تُستحق الإنسانية ، التي تعنى فعل ما هو مختص بالإنسان ، فتحصل له الإنسانية بقدر ما تحصل له العبادة التي لأجلها خلق (الدباغ ، 1994)، و ينبغي أن نلاحظ هنا أن الفروق بين المفهومين شاسعة حقاً، وأن لها آثاره العميقة على سلوك الإنسان وحياة المجتمعات.

ولعلنا لا نكون قد ابتعدنا عن الحقيقة كثيراً إذا قلنا أن التصور الإسلامي للطبيعة البشرية على هذا الأساس يقوم على الافتراضات الأساسية التالية - أو على ما هو قريب منها :

قوتان : الدوافع المادية البدنية الأرضية التي تلح على الإشباع المباشر ، وتتزعج إلى الظلم والتجاوز في ذلك ، والنوازع الروحية التي تتوق إلى القرب من خالقها وإرضاء بارئها الذي تستشعر حبه وتشفق من غضبه وعقابه ، والتي ترتفع بالإنسان إلى آفاق تتصلح معها قيمة إشباع الحاجات الدنيا إلى حد كبير ... آفاق تصل إلى حد استعذاب الاستشهاد في سبيل الله (رغم أنه يعنى زوال النفس الواعية المكونة من البدن والروح كما يعنى فناء البدن)، على أساس أن هذا يعنى صعود الروح الباقية إلى حياة الخلود في النعيم والرضوان من رب العالمين.

(9) بالقدْر الذي تسود به الفطرة السليمة العارفة بريها والمتصلة به يكون التوافق بين الإنسان ونفسه ، وبينه وبين خلق الله، بل بينه وبين الوجود كله ، وبينه وبين ربه ، ويتنزل الدعم والتأييد على الإنسان من "ملائكة" الرحمن (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) (فصلت: 30-31).

(10) وبالقدر الذي تسود فيه دفعات الغرائز الدنيا وتكبت فيه الفطرة السليمة يكون اضطراب الإنسان داخليا، ويكون شعوره بعدم التوافق مع الخلق، وبالتنافر مع هذا الوجود، وتتزلز عليه "الشياطين" بالتحريض والتزيين، لضمان استمرار الإنسان في هذا الطريق المهلك (لم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) (مريم: 83) أي تهزم وتستقزم باطنيا (الطيب بن عاشور ،1984).

فإذا قارنا بين المسلمات التي تقوم عليها العلوم الاجتماعية والسلوكية المعاصرة وبين تلك المسلمات المنطلقة من هذا التصور الإسلامي لوجدناه كالفارق بين الثرى والثريا، فتلك العلوم "الحديثة" تقدم لنا صورة جزئية منقطعة عن سياقها لكائن مادي معزول، كأنه وجد من فراغ وكأنه يعيش في فراغ، لا صلة له بالكون الذي هو جزء منه ، ولا بموجد الكون الذي خلقه وصوره ، مع تجاهل كامل لما كان قبل وجود الإنسان في هذه الدنيا (كالإشهاد على الوجدانية في عالم الدَّر) ولا لما يكون بعد انقضاء هذا الوجود (كالبعث والجزاء) ، ويترتب على هذا كله إهمال الجوانب الروحية المتصلة بمعرفة الله سبحانه وتعالى ، وإهمال العمل وفقا لمتطلبات تلك المعرفة، مع أن هذا الجانب بالذات قد يكون هو البُعد الحاكم على كل ألوان سلوك الإنسان والموجه لها ... غير أننا من جهة أخرى نجد أن التصور الإسلامي مبني على رؤية شاملة ومتوازنة، لا تُغفل أبدا ولا تتجاهل ما عكفت تلك العلوم الحديثة بل اقتصرت على دراسته من الأبعاد المادية البدنية الطينية في الإنسان، فلا رهبانية في التصور الإسلامي ، غير أن تلك الرؤية الشاملة المتوازنة لا تتوقف عند تلك الأبعاد المادية الحسية ، فهي في الإسلام جزء لا يتجزأ من الحقيقة الواقعية ولكنها ليست الجزء "الوحيد" ولا الأهم.

وإن أي نظرية تستبعد من افتراضاتها الأساسية حول طبيعة الإنسان جوانبه الروحية بدءا من الإشهاد على الوجدانية المغروس في الفطرة، إلى الإيمان بالله واليوم الآخر المتضمن في رسالات الرسل ، إلى الآثار المترتبة على تقوى الله العظيم أو على عصيانه ... لا يمكن إلا أن توصلنا إلى نتائج خاطئة تماما أو مبتورة على الأقل فيما يتصل بتفسير السلوك الإنساني والتنبؤ به، ومن هنا فإن من أول واجبات المهتمين بالإسهام في جهود التأصيل الإسلامي للعلوم السلوكية والاجتماعية استجلاء هذا البعد الهام المتصل بالطبيعة البشرية في مختلف جوانبه باعتباره الأساس الذي تبنى عليه بقية الأبعاد المتصلة بالسلوك الفردي والاجتماعي للإنسان، مع احتواء واستيعاب تأثير تلك العوامل المادية التي أسرفت العلوم الحديثة في تقدير أهميتها، ووضعها موضعها الصحيح، في تكامل واتساق مع حقائق هذا الوجود المشاهدة التي لا يمكن إنكارها.

3- ثم إنه سبحانه - يقاطا وتدعيما لما أودعه كامنا في هذه الفطرة - قد أرسل الرسل منذرين ومبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ... فمن حافظ على صفاء فطرته ونقاء سريره فإنه يسارع عند سماع الرسل بالتصديق والانضمام إلى أهل الإيمان، وأما من التوتت فطرته فإنه يلتصق بالأرض وينضم إلى أهل التكذيب والضلال ، وهذا هو جوهر "الاختبار الإنساني" في هذه الحياة ، وهو أيضا المحك الذي في ضوءه تتحدد "توعية حياة" الإنسان .

4- فأما من آمن برسالات ربه ، ثم اهتدى بإرشاد الرسل ، فوعى رسالته ووظيفته في هذه الحياة ، وعرف حق ربه ، فوقف عند أمره ونهيه ، فإن ثمرة ذلك تتمثل في ضبط تلك الصفات التجاوزية البدنية وكبح جماحها في حياته الدنيا بين الناس (إنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، إِلَّا الْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ، وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) (المعارج : 19: 27) ، وذلك إضافة إلى النجاة من عذاب الله وتحقيق الفلاح في الآخرة (فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازعات : 37 - 41) .

(6) ثم إن الله جل وعلا راد الناس إلى معاد يوم البعث والنشور، ومحاسبهم على ما استخلفهم فيه فمجازيهم على أعمالهم في حياة أخرى هي في التصور الإسلامي "الحياة" الحقيقية ، أما الدنيا بكل ما فيها فإنها دار ابتلاء واختبار في مدى ودرجة الالتزام بواجبات العبودية الحققة لله ، فالإنسان الذي يقوم بالعبادة - التي من أجلها خلق - حق القيام فقد استكمل الإنسانية ومن رفضها فقد انسلخ من الإنسانية فصار حيوانا ودون الحيوان ، كما وصف الله الكفار (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل) (الفرقان : 44)".

(7) من هذا ينبتن أنه لا يمكن بأي حال فهم "الإنسان" أو تفسير سلوكه في حياته الفردية أو الاجتماعية إلا في ضوء ذلك البعد الروحي المتصل "بوعي" الإنسان بوجود ربه ومليكه ، و "معرفته" بصفات الخالق وأسمائه وكملاته ، وما يترتب على ذلك من نوع "صلته" وصفة ارتباطه بالله عز وجل ، ودرجة استعداده لملاقاته في "اليوم الآخر" يوم البعث والجزاء . فهذا البعد الروحي هو الذي يعطى حياة الإنسان معناها الحقيقي ، وهو ما يميز التصور الإسلامي بوضوح ويباعد بينه وبين غيره من التصورات البشرية المادية التي تقف عند حدود الحياة الدنيا، (ذلك مبلغهم من العلم)(النجم: 30). فالنصير الإسلامي إن يؤكد فكرة المحافظة على نقاء الفطرة وسلامتها ، على أساس أنها هي التي تحفظ على الإنسان سلامة قلبه ، وعلينا أن ننبتن هنا إلى أن نوع الحياة المنطلقة من مثل ذلك " القلب السليم" تختلف اختلافا يكاد يكون كلياً عن نوع الحياة التي طمس فيها على القلب ، فالإنسان الذي صفا قلبه واستقامت فطرته يكون توكله على الله -لا على نفسه أو الآخرين، ويكون أنسه بالله ووحشته من الناس ، فيعيش حياة مختلفة وجوديا عن غيره من مرضى القلوب، فحياته الداخلية مطمئنة هادئة ... لا تفجعه الفواجع ... ولا تطغيه النعم ... وإنما هو يعيش بين الصبر والشكر على مستوى يستحيل أن يتوفر لغيره ممن كبرت الدنيا في عينه، وأصبحت أكبر همه... ممن يصاب بالجزع والنكد إذا فقد من دنياه شيئا ولو قليلا ، ولا يأبه بضياح أخراه بكليتها، أنسه بالناس وبما في يده من أعراض زائلة ... ووحشته من الله ومن كل ما يذكره به.

(8) بحثل مفهوم "مجاهدة النفس" مكانا محوريا في الحياة الداخلية للإنسان المسلم ، فالنفس (المتملة في تيار الوعي الإنساني) تتنازعها

- الدباغ، عفاف إبراهيم (1994) المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية (الرياض: مكتبة المؤيد).
- رجب، إبراهيم عبد الرحمن (2000) اتجاهات حديثة في الخدمة الاجتماعية الأمريكية: (1) العوامل الروحية والدينية في ممارسة الخدمة الاجتماعية (القاهرة: الثقافة المصرية للطباعة والنشر).
- Goble, Frank G. (2004) The Third Force : The Psychology of Abraham
- Maslow (Jefferson Center for Character Education)

ونؤكد هنا مرة أخرى أن التصور المطروح إنما يتمثل في تقديم "إطار تصوري مبدئي" يجمع بين ما صح من ثمار الخبرة الإنسانية مع ما أمكن استخلاصه -كقطرة من بحر- من بصائر الكتاب والسنة وإسهامات علماء المسلمين، في حدود ما سمحت به ظروف الوقت المتاح، وهو جهد ينتظر الاختبار في أرض الواقع بمعناه الشامل، لكي يمكن التحقق من صحة ذلك الإطار التصوري المبدئي، ولكي يمكن من جهة أخرى تطويره وبلورة التفاصيل المترتبة عليه أو تعديله وفقاً لشهادة الواقع.

المراجع

- ابن عاشور، الطاهر (1984) تفسير التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر).
- أغروس، روبرت، جورج ستانيسو (ت 1989، 1984) العلم في منظوره الجديد، ترجمة كمال خليلي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت).

2012/06/13 - 2003/06/13

" الشبكة تدخل مائة العاشر...صا د تسع سنوات"

د. جمال التركجي

رئيس شبكة العلوم النفسية العربية

www.arabpsynet.com/Documents/DocTurkyApn9YearsAgo.pdf

*** **

بعد الحوار الواسع حول واقع ومستقبل الشبكة...

الاشتراك و الخدمات و خيارات الدم المتابعة

www.arabpsynet.com/Documents/ApnSubscription.pdf

www.arabpsynet.com/subs.asp

*** **

في الذكرى العاشرة لتأسيسها (2013) تسعى الشبكة لتكريم مجموعة من العلماء بلقب:

" الراسخون في العلوم النفسية"

www.arabpsynet.com/Documents/Doc.TurkyPsyExcellent.pdf

” تهيمش “ الذات / Le sujet في الخطاب العلمي المعاصر ”

أنيسة الأمين موعج - بيروت - لبنان

elaminemerhi@yahoo.fr

. هو جوهر الذاتية الإنسانية subjectivité في كونيتها وخصوصيتها. بهذا المعنى، فهو موضوع المعرفة والحق والوعي. في التحليل النفسي، استعمل فرويد المفردة ولكن جاك لكان وفي سنوات 1950 و 1965 واعتمادا على التصور المنطقي والفلسفي وضع الـ sujet في إطار نظريته للدال signifiant محولا موضوع الوعي إلى موضوع اللاوعي والعلم والرغبة. هو الفاعل وهو الموضوع وهو الذات المنقسمة .

في المنهل (قاموس فرنسي -عربي) نجد :

Sujet : سبب، علة، باعث، موضوع، مادة، فكرة، محتوى، الخ قواعد اللغة: فاعل الفعل، مسند إليه.

في الفلسفة: ذات.

أما إذا كان صفة، فهو خاضع ل معرض ل ومنه sujétion خضوع، تبعية، عبودية.

نرى هنا أن مسألة الترجمة هي من أعقد المسائل، خاصة في حيز المعالجة المفاهيمية والنظرية.

هل يوجد ما يوازي أو يقترب من مفهوم الـ sujet في اللغة العربية، مع طبعاً، كل الحقل اللغوي المتعلق بالذاتية ؟

الذات في الفكر العربي

يقارب المحلل النفسي فتحي بنسلامة هذا الموضوع بالتحقيق اللغوي في أمهات الكتب الفكرية العربية في مداخلته في مؤتمر " التحليل النفسي في العالم العربي والإسلامي " (بيروت 2005) حيث يقدم لنا معطيات من داخل المنظومة الفكرية العربية:

في اللغة العربية، كلمات فرد وتفرّد هي ذات غنى واسع، ولفت نظره المفاهيم التالية: الشخص والفرد والعيد، خاصة العيد. الشخص والفرد هي مفاهيم نجدها في القضاء والأتيك والتصوف والأدب ويدور حولها الكثير من الأعمال الملفتة والتميزة.

فيما يتعلق ب الـ sujet وجد أنه أمام حقلين مفاهيميين: حقل فلسفي والمعادل هنا هو "موضوع"، وآخر إلهي هو "عبد".

أ- عند الفلاسفة الذين قاربوا الموضوع، ابن رشد وابن سينا.

أل موضوع = جوهر، ماهية، مادة، أساس. تصور ثاني عند ابن سينا يعطي للموضوع معنى ما هو تحت، والذي قاد عنده إلى نظرية " الحلول". مفردة تعني، بنفس الوقت، الوصول والتجسد، الموضوع هو ما يأتي: " الموضوع هو الذي يصل بكليته، متماسكاً وممسكاً بما يأتي منه" (ابن سينا | رسالة في الحدود). هنا نحن أقرب ما يكون إلى فكرة " الوجود" التي هي ذات قيمة عظيمة في التفكير الفلسفي الإسلامي.

كثيراً ما يتناهى إلى أسماعنا مفردات مثل توتر، اكتئاب، سترس.....الخ، وكأنها أمور ترافقتنا ببساطة، في يومياتنا. تفرد البرامج التلفزيونية حيزاً ما زال يتسع للقضايا النفسية والجنسية، والتي يتابعها الناس باهتمام. يشكل حضور النفساني (الطبيب العقلي، المعالج النفسي) لازمة ضرورية لتقديم المشورة والرأي الصائب! تنتشر العيادات النفسية بشكل ملفت في العواصم والمدن الكبرى . المهدئات والعقاقير، والتي تشكل السوق الأكبر لمبيعات الأدوية، يتم وصفها من قبل أصغر مواطن، مروراً بطبيب الصحة العامة، وصولاً إلى الطبيب العقلي المختص. أما أخبار المخدرات والإدمان والانحراف، بكل وجوهه، فهي من الخطورة بحيث تشكل تراجيديا في عدد كبير من البيوت.

تحول الناس إلى مشاهدين وشهود على الموت والعنف والتدمير والذلل الذي يعرض على شاشات التلفزة وعلى صفحات الجرائد. العين التي ترى، تسجل وتختزن الكثير. إنها ليست عين من زجاج. إنها الذات التي تتفعل وتتألم وتبقى عاجزة عن الفعل، مما يسبب انزعاجاً وقلقاً وألماً، كثيراً ما يفلت من حامله، يصل في بعض الأحيان إلى درجة إعاقته عن متابعة روتينه اليومي في العمل والبيت والعلاقات. يذهب باحثاً عن مساعدة تخفف من وطأة معاناته.

يتم الترويج اليوم لمقاربة الذات البشرية كونها عبارة عن شبكة من الأعصاب والهرمون والجينات، والتعاطي مع المتألم كونه عبارة عن عارض، بتهميش كلي للذات المتكلمة.

في هذه الورقة سوف نحاول تقديم رؤية نقدية لمقاربة الألم النفسي، اليوم، وكيف يتم التعامل العلمي معه من قبل التنظير السائد في مجال الطب النفسي، بإلغاء الذات المتكلمة، الحاملة للمعاناة، بعد أن تم تهيمش مقاربة التحليل النفسي للذات البشرية.

ينطوي عنوان هذه المقاربة على مفردتين أساسيتين هما "الذات" و"الخطاب العلمي". المقصود هنا بالخطاب العلمي ليس العلم بكل ما يأتي به من كشوفات، إنما الخطاب المرافق (العلمية) الذي يدعي أن الجواب على كل ما نعانیه موجود في العلم، تماماً كما كان الدين، فيما سبق، يقدم الأجوبة الدامغة على تساؤلات البشر.

أما مفردة "الذات" والتي سوف نتعامل معها، اصطلاحاً، باعتبارها المرادف للمفردة الأجنبية subject / sujet، فسوف نرى أن مسألة ترجمتها إلى اللغة العربية ليست بالأمر البديهي.

Sujet

حسب معجم مصطلحات التحليل النفسي مفردة " sujet " هي مفردة شائعة في علم النفس والفلسفة والمنطق. منذ ديكرت وكانت وهو سرل، يعرف الـ sujet بالإنسان نفسه كونه في أساس أفكاره وأفعاله

عن مقارنة التحليل النفسي للذات المنقسمة والمشغولة بالطفل الذي فينا وتاريخه وعلاقاته الأسرية. وهذا ما يسمح بالكلام عن موقعه فرويدية (الوعي واللاوعي) وموقعه لاكانية (الواقعي والمنتخيل والرمزي).

ربما مداخلة بن سلامة سنة 2005 في بيروت تشكل ردا على سؤال طرحه أدونيس في مؤتمر عقد قبل سنة في قصر الأونيسكو أيضا، وعنوانه " النفس عند العرب وموقعها في التحليل النفسي: " حيث كان سؤال أدونيس: كيف يحلل علم النفس فردا لا ذاتية له؟ أو " ذاتا" لا ينظر إليها ولا تعيش إلا بوصفها " موضوعا"؟

طرح أدونيس هذا السؤال في نهاية مداخلته التي قدم فيها صورة للمسلم الاتباعي في الثقافة: الفرد العربي المسلم يولد وينشأ في ثقافة تقوم على ركنين: الدين واللغة....والحقيقة، حقيقة الإنسان والعالم إنما هي في النص، وليس في الشيء أو المادة... ليس الإنسان هو الذي يمتلك النص الديني، بل أن هذا النص، على العكس، هو الذي يمتلك الإنسان والعالم معا. الاتباعية هي السمة، أو الخاصية الأساسية للعلاقة بين المؤمن والنص، والوحي...وهي تبعا لذلك، جوهر الثقافة الإسلامية في تأويلها السلفي السائد.... يمكن في هذا المنظور أن تعطى الاتباعية اسما آخر هو "اللاذاتية..." ويعني بذلك أن ذاتية المسلم الاتباعي أو المتبع لا تحدد بعالمه الداخلي، في استقلال عن النص، إنما تحدد بما هو خارجه، أي بالنص، بالشرعية، بإجماع الأمة. ذاتته، موضوع تكونه التعاليم الدينية، أو لنقل الخارج الشرعي هو الذي يكون الداخل الذاتي للمسلم. فالإنسان المسلم هو إنسان الشرع، إنسان الخارج. وهو يستشهد بمقولة رائعة للفارابي:

" كل موجود في آله، ذاته لغيره، وكل موجود في ذاته، ذاته له."

الذات، وفقا للاتباعية الشرعية، إنما هي "موضوع"، أو كينونة شرعية خارجية. ونعرف تاريخيا، أن المتصوفين حاولوا أن يخترقوا هذا الخارج، فعارضوا الشرعية بمفهوم الحقيقة التي هي من عالم الداخل، عالم الحدس والرؤيا، والشطحات، مؤكدين درءا للشبهات، عدم التعارض بين الحقيقة والشرعية، مما أدى إلى اضطهادهم وقتل بعضهم. وبين سلامة يرجع إلى ابن عربي!

كون أدونيس رأى أن الداخل الإنساني هو ملك النص، والذات هي نفسها موضوع الخطاب الديني النص، كما يتبناه المسلم الاتباعي عقب عليه المحلل النفسي اللبناني أيلي ضومط، المقيم في فرنسا، وفي نفس المؤتمر، مشيرا أن العقبات التي تعترض انتشار التحليل النفسي في الأقطار العربية لا تقتصر على ما قيل حتى الآن، لأنه يرى، في الغرب، أن التحليل النفسي يعاني في السنوات الأخيرة، من الخطاب العلمي. وقد أصبح مهددا بحكم السيطرة الأيديولوجية الجديدة، التي ارتهنت، كما نعرف، بسلطة الاستهلاك. فكل ما عرفناه من مفاهيم تحليلية أساسية: الذات، النقصان، التحويل، اللاوعي، الخ... أصبحت بنظر العلم الحديث باهته، لا تؤخذ بعين الاعتبار، إن ما صفت غير علمية...ما يجب الإشارة إليه أن التيار الفلسفي التقليدي كان يتحرك ضمن حدود أخلاقية، تأخذ بعين الاعتبار الإنسان وسعادته، حكمته، خلاصه، وكذلك الأديان فيما بعد، خلافا للتيار العلمي الحديث الذي يختزل الإنسان في عضو واحد هو الدماغ، ولا يتقيد بأية شروط خلقية. مما يجعل الذات مستثناة من الخطاب العلمي...والذات منقسمة بين المعرفة العلمية والحقيقة التي يجدها العلم....انكب التحليل النفسي على هذه الحقيقة المهجورة كي يبرزها كعامل وجودي مادي، اعتمادا على اللسان واللغة. هذه الحقيقة حدها فرويد في موقعها اللاوعي، على أساس أن اللاوعي يحمل في طياته معرفة تختلف عن المعرفة البيولوجية. كما أن هذه المعرفة المكتوبة

ب- **أد sujet الإلهي " العبد"**. هنا يشير الكاتب أن الإيديولوجية الإسلامية المعاصرة تقلص معنى "عبد" إلى معنى "خادم"، أي الخاضع. إن جذر مفردة عبد في اللغة العربية، ليس فقط الذي يخضع، إنما أولا، العاشق لدرجة العبادة. العبادة هي التي تقود الفرد إلى تأليه موضوع عشقه وخدمة ذلك العشق. هناك توجه ثان لجذر عبد ترد إلى بذل الجهد والعمل ولكن أيضا ألغى والرفض. توجه ثالث يقود إلى الندم والأسف. تعبد، هي خضع ولكن أيضا احترام، تشرف. التعبد، شق طريقا، اختلف، أن يكون الشخص عاصي ومقاوم. في كل هذا الغنى الدلالي لـ "عبد" يتبدى لنا تواجد الأضداد: أن يكون في خدمة قضية وبنفس الوقت أن يثور. القبول بمهمة ورفضها، أكد ونفى. هنا نقرب من معنى sujet في اللغة الفرنسية. معنى يضمر البعد المزدوج للسلبية وللعمل. الذات في العربية هي موطن التناقض، على ما قادنا إليه الباحث، في ربطه المنهجي بين الذات والدال اللغوي.

يتابع بن سلامة الدال اللغوي، فيجد عند الفيلسوف الجرجاني (القرن الخامس عشر) تعريفا جميلا، كما يقول، لـ " عبد" و "عبودية" يعرف الجرجاني الذاتا sujet بما تفعله " إنه فعل من هو مطلوب لعشق آخر غير نفسه...ربه". إنها العلاقة مع الآخر الكبير الذي يقطع علاقة الحب مع الذات. في هذا السياق، يقدم هذا الفيلسوف مقارنة للذاتية ترتكز على عقد رمزي هذه تعابيره:

" الوفاء بالوعد، حفظ الحدود، الرضا بالموجود، والصبر على المفقود". ويفند بن سلامة كل واحدة من هذه الحدود وصولا إلى وضع مقام للذات " يعين الجرجاني مقام الذات بين وجهين بلاغيين في الأدب العربي " الوجد " و " الفقد". كأننا هنا أمام تصور عال ودقيق لمقام الذات والذاتية في اللغة العربية والحضارة الإسلامية. نقول الحضارة الإسلامية، المقصود بالإسلام هنا ليس التيولوجيا الإسلامية، إنما ما بعد ذلك، لأن الإسلام كحضارة مع ألس التعريف، يتجاوز الإسلام كدين، حتى ولو كان هذا الأخير من أهم مرتكزاته.

مثما تبين لنا من التقيب اللغوي في النسق الرمزي للثقافة العربية والذي قوامه التعبيري اللغة، نجد أن الذات العربية، موقع التناقض، والمنبئية داخل النسق الرمزي، هي أمر مختلف عن مفاهيم الفرد والشخص. من هنا هي موطن التجاذبات والصراعات والاستلاب، والحرية وكل ما يجعلها موضوعا للفلسفة والتحليل النفسي.

يطرح بن سلامة بعد ذلك السؤال التالي: هل يوجد في عالم الخطاب، في اللغة العربية، ما يقترب أو ما يشق طريقا نحو ما نسميه في التحليل النفسي: موضوع اللاوعي؟

في التحليل النفسي، نجد علامة اللاوعي بين جسم الهوامات، اللغة والأخرية. يقترب من هذا التوصيف ما قدمه الصوفي ابن عربي، إنما في الحقل الإلهي، حيث وجد أن حجر الزاوية في الذات هو رغبة الأخر الكبير، وهذه الرغبة تفلت من الإدراك. تعاطى ابن عربي، بشكل منهجي ومتسع وعميق مع مسألة الكلمة ومسألة الأخرية. وذلك في طرح يتجاوز الفروق بين الأديان الموحدة والمتعددة والملحدة. إن الجانب الصوفي الذي يدرج فيه ابن عربي هو وجه تقليصي، فهو قارب المسائل الإلهية والفلسفية واللغوية والشعرية والأسطورية، مما جعل بن سلامة يطلق عليها تسمية الميتاتولوجيا métathéologie. في متابعة هذا الأمر وجد أن الطفل فينا وعلاقته بالمرآة miroir وبالآخر الكبير Grand Autre وبالعبرية autre هي موجودة. بمعنى أن ما يقاربه التحليل النفسي في الذات، قاربه ابن عربي من موقع آخر. وهذا يدل على أننا، كعرب، لسنا غرباء

تختلف عما هو متوارث من المعرفة الإلهية التي وردت في الكتب السماوية..... ويجب أن نحذر من خطر ربط التحليل بالدين لأنه في مثل هذه الحالة يتحول التحليل إلى اجتهادات لا حصر لها. وإذا أحببنا إظهار الفصل بين المعرفة الدينية ومعرفة المحلل فكلهما يخضعان للآخر الكبير (موضع القول). في الدين، الآخر الكبير يحتوي على المعرفة الإلهية والحقيقة المطلقة، فهو مفترض عارف، أما التحليل فإنه يسعى دائما إلى إظهار عدم الاكتمال المعرفي للآخر الكبير (سواء كان أما أو أبا أو أي ركن...) وإن زرع هذا العمل قواعد الذات المعرفية إلا أنه انطلاقا من هذه الفجوة تبرز الرغبة الحقيقية في طلب معرفة أخرى، تتميز تماما عن خط الحكماء الإنسانيين.

تختلف عما هو متوارث من المعرفة الإلهية التي وردت في الكتب السماوية..... ويجب أن نحذر من خطر ربط التحليل بالدين لأنه في مثل هذه الحالة يتحول التحليل إلى اجتهادات لا حصر لها. وإذا أحببنا إظهار الفصل بين المعرفة الدينية ومعرفة المحلل فكلهما يخضعان للآخر الكبير (موضع القول). في الدين، الآخر الكبير يحتوي على المعرفة الإلهية والحقيقة المطلقة، فهو مفترض عارف، أما التحليل فإنه يسعى دائما إلى إظهار عدم الاكتمال المعرفي للآخر الكبير (سواء كان أما أو أبا أو أي ركن...) وإن زرع هذا العمل قواعد الذات المعرفية إلا أنه انطلاقا من هذه الفجوة تبرز الرغبة الحقيقية في طلب معرفة أخرى، تتميز تماما عن خط الحكماء الإنسانيين.

يبدو أن *La neurobiologie* تميل إلى تأكيد أن الاضطرابات النفسية تعود إلى تشوه في وظيفة الخلايا العصبية، وطالما أن الدواء المناسب موجود فلماذا القلق؟ ولا داعي للدخول في أية رهانات، المهم هو تطبيق إستراتيجية التطبيع وتحويل الناس جميعا إلى متعاضى بيولوجي. من هنا فلن نتعجب إذا كان البؤس الذي يراد اقتلعه يعود بطريقة صاعقة، إنما في حيز آخ، هر حقل العلاقات الاجتماعية والوجدانية: العودة إلى اللاعقلاني، وعبادة الاختلافات الصغيرة وتقييم الفراغ والحمافة، الخ. إن عنف الهدوء هو أكثر رعبا من اجتياز العواصف.

La dépression (الخور) اليوم هو الشكل المخفف من *mélancolie* القديمة، كما كانت الهستيريا في نهاية القرن التاسع عشر. طبعا لم تختفي الهستيريا ولكنها تعاش اليوم أكثر على شكل *dépression* هنا تغيير الباراديم ليس بريئا.

جميعنا يعلم أن اختراع فرويد لهيئة جديدة للنفس يفترض وجود ذات قادرة على استدخال ممنوعات. هذه الذات *objet*، غارقة في اللاوعي وممزقة بفعل وعي أتم، تنساق إلى نزواتها بفعل تراخي العلاقة بالله في المجتمعات المعاصرة، فتجد نفسها في معركة ضد نفسها. من هنا يخرج التصور الفرويدي للعصاب *névrose*، الذي تعيشه الذات في الصراع، القلق، الإثم والاضطرابات الجنسية. هذه الفكرة للذاتية *subjectivité* هي التي يتم العمل على إلغائها واستبدالها بفكرة الشخصية الخورية *personnalité dépressive*. الخور أو الانهيار النفسي *dépression* هو ليس عصابا *névrose* ولا ذهانا *psychose*، إنما ماهية رخوة ترد إلى "حالة" ترى عبر مفردات مثل "التعب" "العجز" أو "وهن في الشخصية". النجاح المتزايد لهذا التوصيف يبين أن المجتمعات في نهاية القرن العشرين توقفت عن اعتبار الصراع نواة معيارية للتكون الذاتي. بمعنى آخر، بدلا من التصور الفرويدي لذات لاواعية من جهة وتعني من جهة ثانية حريتها، مسكونة بالجنس والموت والممنوع، تم استبدال ذلك، بتصور نفساني، قوامه فرد مكتئب يهرب من لاوعيه ومهموم بأن يكشط من ذاته أي صراع. (هنا الكثير من الدراسات والمنشورات حول هذه المسألة. أنظر الفيلسوف الكندي شارل تايلور وتحليله لهذه الظاهرة.

إنسان المجتمعات المعاصرة الذي يتمتع بالمساواة في الحقوق وبتحسن شروط العيش، وعندما ينهك من تبعيته لهذا العالم في غياب رؤية ثورية، يصبح خوريا، يذهب إلى الإدمان أو التدخين، إلى التنظيم الصحي *Hygiénisme* أو عبادة الجسد المثالي، في بحث دؤوب عن سعادة مستحيلة: "لهذا السبب، يلاحظ Alain Ehrenberg أن المدمن اليوم هو الوجه الرمزي المستعمل لتعريف أوجه ما هو ضد ذات *anti-sujet*. المجنون هو الذي كان يشغل سابقا هذا المطرح. إذا كان الخور هو تاريخ ذات لا تجد نفسها، فالإدمان هو الحنين لذات مفقودة". طرح Lowenstein خبير الإدمان فرضية الصلة البنوية بين الرياضة القاسية والخور والإدمان على المخدر متساو: "لماذا يصعب على الرياضيين إيقاف الرياضة؟ لأن الرياضة تقوم بوظيفة ضامنة ضد الكآبة وضد القلق. على الرياضي أن يقوم بأشياء كثيرة، التدريب، نظام الأكل والفييتامين. عندما يوقف هذه الأمور، يجد الرياضي نفسه في مواجهة ما هو أفسى: العودة إلى التفكير.

اليوم، تخلى الطب العقلي *psychiatrie* عن النموذج التصنيفي *nosographie* للأمراض لصالح تصنيف السلوكيات. نتيجة ذلك تقلص

تختلف عما هو متوارث من المعرفة الإلهية التي وردت في الكتب السماوية..... ويجب أن نحذر من خطر ربط التحليل بالدين لأنه في مثل هذه الحالة يتحول التحليل إلى اجتهادات لا حصر لها. وإذا أحببنا إظهار الفصل بين المعرفة الدينية ومعرفة المحلل فكلهما يخضعان للآخر الكبير (موضع القول). في الدين، الآخر الكبير يحتوي على المعرفة الإلهية والحقيقة المطلقة، فهو مفترض عارف، أما التحليل فإنه يسعى دائما إلى إظهار عدم الاكتمال المعرفي للآخر الكبير (سواء كان أما أو أبا أو أي ركن...) وإن زرع هذا العمل قواعد الذات المعرفية إلا أنه انطلاقا من هذه الفجوة تبرز الرغبة الحقيقية في طلب معرفة أخرى، تتميز تماما عن خط الحكماء الإنسانيين.

"كونوا سعداء، كونوا شبابا" .. يقول إدغار موران في كتابه "ذهنية العصر".

يبشر الخطاب العام اليوم بالعلم كونه دين جديد، يؤكد للفرد أن التطور في البحث العلمي يضمن له مستقبلا خاليا من أي ألم، ويجتث المرض من أساسه بفعل الوقاية. تدخل الوقاية في رؤية مثالية تبغي السيطرة على المجازفة والخطر. خطر يجب أن يصير صفرا. فكرة "الخطر صفر" أو "صفر مرض" أو "صفر عارض". هذه الفكرة تسقط الجانب المظلم من الحياة، حيث شبح الموت. في هذا السياق فإن نفي الانحطاط والمرض والتسمم و"الختيرة"، لصالح النقاة والنزاهة والنظافة و"الشباب"، بأي ثمن، مما يولد خطابا يولد منتجات وقاتية.

إن إفرانانتا وعنفنا ونزواتنا وأحقادنا وقلقنا تدخل في الجزء الملعون والتي نطن أنها يجب ألا تزعنا! ماذا تصير أبداننا إذا لم تعرف الميكروبات! إلى ماذا تؤول نفسياتنا إذا لم تنتج حصتها من الصد والأعراض والقلق! ألسنا هنا نستبدل المنوعات الأخلاقية السابقة بممنوعات وتحوطات تجعلنا أسرى الخوف من كل ما نلمس! أليس علينا أن نقوم بمديح للعارض النفسي، مع كل إزعاجه لأنه يضعنا أمام مسؤولياتنا إزاء أنفسنا! إن اضطلاع الذات بما يمسه هو ثورة بحد ذاته.

الألم | العارض

يتبدى الألم النفسي اليوم على شكل *dépression* إكتئابا خور(خارت القوى)، حيث تختلط أوجاع الجسد والنفس مع مشاعر الحزن مع إحساس باللامبالاة. الخور هو مرض النرجسية الذاتية، هو الإحساس بانعدام القيمة. كأن الفرد الباحث عن تميزه واختلافه ورفضه التماهي مع صور ماضوية يقع في لجة البحث عن المعنى الذي يبحث عنه في الخارج دون جدوى. في الغرب، كلما تساوى الناس أمام القانون، كلما ازداد البحث عن الاختلاف والخصوصية. في المجتمعات العربية الإسلامية حيث يسود منطق الجماعة، من ينسحب ليؤكد فرديته، فهو أيضا يبحث عن الاختلاف. استبدلت المجتمعات المعاصرة الذاتية *subjectivité* بالفردانية *individualité*. يعالج كل *patient* كونه كيانا غفلا ينتمي إلى جماعة كلية عضوية، كأنه نسخة عن غيره ويعطى نفس السلة من الأدوية مهما كان العارض الذي يشكو منه. ولكنه لا يكن ولا يهدأ فيذهب باحثا عن مخرج لألمه. من جهة الطب، ومن جهة ثانية يذهب باحثا عن علاج يظن أنه مناسب للتعرف على هويته. يضع في متاهة العلاجات البديلة الموازية. بمقابل العلموية *scientisme* التي تطرح نفسها كدين، ومقابل العلوم المعرفية *sciences cognitives* التي تعلو من شأن الإنسان - الآلة *l'homme - machine* على حساب الإنسان الراغب *l'homme désirant*، نرى أننا أمام ازدهار أنواع عديدة من الممارسات. منها ما هو قبل الفرويدي، منها ما هو أت من تصور خفي للجسد وللروح: *magnétisme, sophrologie, naturopathie, iridologie, auriculotherapie, énergétique transpersonnelle, suggestologie,*

العلاجي: كون المسار التحليلي طويل ومكلف، أضف أن نتائجه لا يستطاع قياسها ، وهذه نقطة هامة تتعلق بمكانة الشفاء في التحليل النفسي . في مجال النفس لا نتكلم عن الشفاء بالمعنى الذي نلاحظه في الأمراض الجسمية والجينية والعضوية. الطب العلمي يركز على نموذج العلامة-التشخيص- العلاج. مثلا ارتفاع الحرارة (علامة) تشخيص المرض (تيفويد) إعطاء الدواء (الأنتيبوتيك) ، " يشفى" المريض من الآلية البيولوجية للمرض. أي أننا أمام فصل بين الجسد والنفس. أعراض النفس لا ترد إلى مرض واحد وهو فعليا ليس مرضا، إنما حالة. الشفاء هنا ليس سوى تحول وجودي للذات .

مع متابعة المراجعة التي تمت لمصنف تشخيص الأمراض DSM الذي تجريبه APA منذ سنة 1952 نجد أنه ابتداء ينسخ نموذج علامة-تشخيص- علاج، وانتهى بأن يحذف من تصنيفاته الذاتية نفسها. تمت أربعة مراجعات : 1968 (DSM 11)، (DSM 111) (1980)، 1987DSM111- (R)، (DSM 1V) (1994). نتائج عملية التطهير التدريجية هذه كانت كارثة، لأنها كانت تهدف إلى برهنة أن اضطراب النفس يتقلص إلى ما يعادل عطل في محرك.

مع هذا المسار تم حذف اللغة التي صاغها الطب العقلي الدينامي و التحليل النفسي . استبدلت مفاهيم الذهان والعصاب والانحراف بفكرة رخوة اسمها " اضطراب" (disorder= désordre). ولتجنب أية معركة حول هذا الموضوع انتهى هذا التصنيف بشطب مفردة مرض حتى لا تتم ملاحقة المعالجين إذا لم يحصل الشفاء. وهكذا فإن الميل السائد اليوم يقوم على تقليص التعضية النفسية إلى مفردة تصرفات بعد إزاحة مفاهيم اللاوعي والجسدية والتحويل . إذا كانت مفردة ذات لها معنى، فإن الذاتية لا تقاس ولا تكتم : إنها الاختبار المرئي والمستور ، الواعي واللاوعي حيث تتأكد ماهية التجربة الإنسانية.

اللاوعي : المعركة الكبرى

دماغ فرانكشتاين

منذ قرن تقريبا والمعركة قائمة بين مناصري إمكانية تشكل علم للروح، حيث الذهني mental هو نسخة عن العصبي neural ، ومؤيدي فكرة استقلالية السيرورات النفسية. في قلب هذا الخلاف ، شكل اللاوعي موضوعا لنقاشات ساخنة كون تعريفه يفتل من هذين الحقلين . ليس فقط لأنه لا يستطاع دمجه في نظام عصبي، بل لأنه أيضا لا يمكن إدماجه في تصور معرفي أو تجريبي في علم النفس. ومع هذا لا ينتمي إلى حقل التجسيم واللاعقلاني . ومن المفهوم أن يكون موضوعا لسجالية حادة كونه يتبدى أولا بصفة سلبية : إنه لا وراثي ، ولا دماغي، ولا أوتوماتيكي، ولا عصبي، ولا معرفي، ولا ميتافيزيقي، ولا ميتا نفسي ولا رمزي، الخ. ومن الملاحظ أن العلماء الأكثر وضعية والأكثر تعلقا بالعلوم البحتة هم الذين يطلقون النظريات الأكثر غرابة حول الدماغ والنفس ، لأنهم يرغبون في تطبيق نتائجهم العلمية على مجمل السيرورات الإنسانية. يستشري السباق للعقلنة الكاملة والتي تهدف في العمق إلى فبركة الإنسان، وهذا ما يعني نسخة جديدة لأسطورة Prométhée بروميسوس.

في القرن الحديث، أعطت Mary Shelley أجمل تعبير عن ذلك في رواية نشرت سنة 1817: Frankenstein ou le Prométhée moderne . تروي الكاتبة قصة عالم شاب، اسمه Victor Frankenstein، الذي يقرر فبركة إنسان من دون نفس، وذلك بتجميعه قطع من جثث أخذها من المقابر. بعد خلقه ، يتأنس هذا الوحش ويتألم كونه يفقد النعمة الإلهية

العلاج النفسي إلى تقنية محو الأعراض مع طوفان الأدوية الشافية psychopharmacologie . يتم اللجوء إلى وصف الدواء في الحالات الصعبة، عندما تسيطر الأعراض على العيش: الكآبة ، الهيجان، الحزن القاسي . من الطبيعي معالجة الأثر الظاهر، وهذا الأمر هو ثورة بحد ذاته ، ولكن العمل على محو العارض وتجنب البحث عن السبب بشكل يدفع الإنسان إلى وضعية لا صراعية وبالتالي أكثر كآبة وسوداوية. مكان الأهواء نجد الهدوء، وتستبدل الرغبة بتجنبها، يحل عدم مطرح الذات ، ويستبدل التاريخ بنهاية التاريخ. ما من أحد لديه الوقت لعلاج الذات المتألمة ، الوقت في المجتمعات المعاصرة يقاس بمرودده.

الإنسان السلوكي

حولت العولمة الاقتصادية البشر إلى أعراض أشياء، لا أحد يريد أن يسمع شيئا عن عن الإثم أو الحميمة أو الوعي أو الرغبة أو اللاوعي . كلما تم الانغلاق في منطقتي نرجسي، كلما تم الهروب من فكرة الذاتية وتعاطيها اليومي مع شؤونها. قدم باحث أميركي مسألة أن السبب الوحيد للانتحار يكمن في إنتاج غير معتدل لمادة sérotonine وإنه ليس قرارا ذاتيا أو تصرفا متهورا في سياق تاريخي. وهكذا ، باسم المنطق الكيميوبيولوجي ، يتم محو السمة التراجمية لفعل ذو عمق إنساني قوي: من كليوباترا إلى سقراط ومشيما وإيما بوفاري وغيرهم. بنفس الوقت يمحي ، بفضل جزيئه صغيرة ، كل الأعمال السوسولوجية والتاريخية والفلسفية والأدبية والتحليلية لأسماء من دوركهام إلى موريس بنغي، الذين أعطوا معنى أخلاقيا وليس كيميائيا لتراجميا الموت الإرادي. بتبني مبادئ مشابهة ، يدعي بعض علماء الجينات شرح مصدر معظم التصرفات. منذ سنة 1990 ، برزت مسألة ما يسمى الآليات "الجينية" للمثلية الجنسية والعنف الاجتماعي والإدمان على الكحول وحتى الشكيزوفرنيا. أعمالا كثيرة ينشر الخبر عنها في كبريات الصحف اليومية والمقروءة. كل هذه الأبحاث هي نتيجة الفقد الكارثي الذي يعيشه المجتمع الغربي في السنوات الأخيرة . فقد الأمل بوجود حلول اجتماعية للمسائل الاجتماعية.

العودة الممنهجة إلى السببية الخارجية للألم - الجينات، الشبكة العصبية والهرمون- تترافق مع حضور فكرة النظام السلوكي système comportemental ومعه لم يبق سوى نموذجين للشرح : من جهة العضوانية organicité ، الحاملة لكنونية تبسيطية ، والاختلاف عن الغير الحامل لتقاوية أمبيريقية. ينتج عن ذلك انشطار تقليصي بين عالم العقل وعالم الذهنيات، بين أوجاع البدن وأوجاع الروح ، بين الكوني والخاص. أي أن سبب ألم البشر يعود إلى مصدرين خارجين عن إرادته، إما العضوية وإما المجتمع الثقافي. لقياس فعل هذا التحول العالمي ، يكفي دراسة تطور مصنف الأمراض النفسية :

Manuel diagnostique et statistique des troubles mentaux (DSM1)

بنسخته الأولى المنجزة من قبل الجمعية الأميركية للطب العقلي (APA) سنة 1952 . في هذه النسخة أخذ المصنف بما قدمه التحليل النفسي ، ودافع عن فكرة أن الاضطرابات النفسية والعقلية تعود في الجوهر إلى التاريخ اللاوعي للذات ، موقعها في الأسرة وعلاقتها مع المحيط الاجتماعي. في هذه النسخة لا تغيب السببية العضوية والعلاج بالأدوية كان يترافق مع العلاج بالكلام أو مع العلاج بطرق دينامية أخرى.

مع تطور المقاربة الليبرالية للعلاج والتي تخضع الكينيك لمعيار المرودية، اعتبرت الأطروحات الفرويدية غير مجدية على المستوى

Alain Prochiantz يشير أنه لا وجود لأي تعارض بين علم الدماغ وعلم الجينات والنظام التحليلي : " إذا كانت الجينات تعرف انتماعنا للنوع الإنساني وانتماعنا الفيزيقي ، فهي وحدها لا تشرح شخصيتنا ككائنات مفكرة. الدماغ ليس حاسوبا تتم فك شيفرته عبر الجهاز الجيني " .

تكمن قيمة اللاوعي الفرويدي كونه يؤكد القطيعة مع فكرة أن الإنسان هو مستلب أبدي ، وليس ذلك الغريب عن نفسه والذي يجب أن تطبق الأخلاقيات عليه لمعالجته. الكلمة السر ، اليوم ، هي " كن إيجابيا".

الفاعل الفرويدي هو فاعل حر ، موهوب بالعقل ، إنما عقله يتذبذب داخل ذاته . بواسطة كلامه وأفعاله ، وليس من وعيه المستلب ، ينبثق أفق شفائه. هذا الفاعل بالذات ، ليس الإنسان المسير لدى النفسانيين ، ولا الفرد الدماغى لدى أهل الفيزيولوجيا ، ولا المروص لدى جماعة التنويم المغناطيسى ، ولا الحيوان الأثني عند جماعة تنظير العرق والوراثة. إنه كائن متكلم ، قادر على تحليل معاني أحلامه. يتمتع بلاوعي هو كوني وخاص بنفس الوقت ، وهذه أحد أهم إرصاصاته المفاهيمية. أصبح اللاوعي في القرن العشرين شعارا لكل أشكال الاستطلاع للذاتية . من هنا تأثيره على بقية العلوم ، وحواره الدائم مع الدين ومع الفلسفة . كون فرويد وضع الذاتية في قلب جهازه المعرفي ، لذا توصل إلى بلورة سببية (لاواعية) تجبر الذات على ألا ترى نفسها كسيدة للعالم ، إنما كوعي من خارج آلية السببية الميكانيكية. بهذا المعنى ، النظرية الفرويدية هي وريثة الرومانسية وفلسفة الحرية النقدية التي تأتت مع كانت وفلسفة الأنوار. وبهذا تتاهض كل النظريات המתأتية من الفيزيولوجيا (اللاوعي الدماغى) ومن البيولوجيا (اللاوعي الوراثى) ومن السيكولوجيا (الأثوماتيسم الذهني) ، بالرغم من كل الهجوم المرتكز عليه اليوم ، يجب أن يكون قادرا على تقديم إجابة إنسانية أمام هذا التوحش الناعم والمميت لمجتمع خوري ذاهب نحو تقليص الإنسان إلى آلة من دون فكر ولا وجدان .

والتي وحدها تسمح له أن يوجد. أيضا يطلب من خالقه أن يقول له امرأة على صورته. في نهاية أحداث رهيبية، يختفي الوحش ويتجلد في الصحراء بعد أن يقتل العالم. فراكتاتين، هذا الشيء الغفل الذي أطلق عليه اسم العالم الذي فبركه ، يشهد على كابوس كبير للعقل الغربي . بين 1870 و1880 ، ويتأثير التطورية الداروينية ، توسع مشروع تغطية الخطاب العلمي لمجمل الظواهر الإنسانية . من هنا تعميم ال isme على جميع المفردات المفترض أن تقدم شرعية للمعارف:

العلموية . لاهوت علماني، يرافق دون توقف، خطاب العلم وخطاب تطور العلوم مع ادعاء حل كل المسائل الإنسانية. بمعنى آخر العلموية هي دين بنفس العنوان الذي تتم فيه محاربة الدين باسم العقلانية . إنها وهم العلم ، تماما كما قال فرويد عن الدين. يطالعنا كل يوم في الصحف أخبار علمية عن تدخل هذه الجينة أو تلك الجملة العصبية في سلوكيات هي محض اجتماعية أو ذاتية. يترافق ذلك مع حملة عشواء على التحليل النفسي أو فرويد أو اللاوعي. كيف نفهم ، أخيرا ، نبوءات عالم السياسة الأميركي Francis Fukuyama عندما يهنيء العالم ب " اختفاء " التحليل النفسي والتاريخ ومجمل النظريات " المبنية " لصالح قدوم مجتمع مؤسس على العلم الطبيعي! يكتب : " في هذه المرحلة ، نكون قد انتهينا من التاريخ الإنساني لأننا محونا الكائنات الإنسانية كما هي ، وابتدأ تاريخ جديد ، ما بعد الإنساني" .

هذه الأطروحات هي ، بالطبع ، مرفوضة من قبل علماء آخرين لم يترددوا في مهاجمة الأوهام العلموية لزملائهم. Gerald Edelman ، عالم أعصاب بيولوجي أميركي، حائز على جائزة نوبل في الطب ، يرى أن اللاوعي ، بالمعنى الفرويدي ، يبقى مفهوما ضروريا للفهم العلمي للحياة الذهنية للإنسان. ويبين في كتابه بيولوجيا الوعي ، أن العداء للنموذج الفرويدي عائد إلى مقاومة العلماء أنفسهم للاوعيهم الخاص أكثر مما هو واقع في حيز النقاش العلمي. كذلك عالم الطب البيولوجي الفرنسي

المعجم الموسع للعلوم النفسية

الإصدار العربي

"الحرف الثامن عشر"

خاص بالمشاركين

"ع"

عربي - إنجليزي - فرنسي

http://www.arabpsynet.com/pass_download.asp?file=2018

**** **

المعجم الوجيز للعلوم النفسية

الإصدار العربي

"الحرف الثامن عشر"

تنزيل حر

"ع"

عربي - إنجليزي - فرنسي

www.arabpsynet.com/eDictBooks/Ar.aef-Short/AY.aefShort.pdf

www.arabpsynet.com/eDictBooks/Ar.aef-Short/AY.aefShort.exe

مدى علمية علم النفس الحديث

د. ناصر ميـزاب - علم النفس الحديث، جامعة تيزي وزو، الجزائر

mnacereddine2000@hotmail.fr

لقد أثير موضوع التأصيل، أو إعادة صياغة محتويات علم النفس من حيث علميته، (مفهومي الشخصية والذات نموذجاً) ومن حيث مدى استجابته للأحداث الحالية الجارية في العالم وفي العلم العربي الإسلامي بالخصوص. لذلك ليسمح لي الزملاء الكرام المتخصصين في علم النفس وعلم السايكاتري ان اطرح أمامهم بعض الأفكار - إمكانية إعادة النظر في محتويات علم النفس الحالي- يمكن أن تدفع بالنقاش أكثر نحو أفق أعمق.

قبل الدخول في بعض المعلومات النظرية حول المفهومين يجدر بنا أولاً الحديث عن أهمية مصطلح الشخصية و مفهوم الذات بالنسبة لمحور الصحة النفسية. ذلك إن كل علم النفس يهدف إلى توفير الإحساس بالراحة النفسية ومن ثم تبادل المحبة والمودة مع محيطه (التكيف).

فهما نقطتي البدء وقاية وتشخيصاً وعلاجاً، كما أنهما نقطتي الانتهاء. ذلك "أن الشخصية المتوازنة المتكاملة الإيجابية أو الشخصية السليمة هي الغاية التي نصبوا ونسعى إلى وجودها... (عبد المطلب أمين القرطي، 1998، ص 221).

1-2- مدى تناقض النظريات والمفاهيم في موضوع (الشخصية)

يظهر أن للشخصية تعريفات مختلفة تتخذ أبعاداً مختلفة من زوايا متنوعة. حيث يشير "سيد محمد غنيم" إلى أن جوردن البورت Allport G 1937 "أورد في كتابه "الشخصية" ما يقرب عن خمسين تعريفاً أو معنى مختلفاً للشخصية، بعض هذه المعاني لاهوتي، وبعضها فلسفي، وبعضها اجتماعي، وبعضها سيكولوجي." (سيد محمد غنيم، د.ت، ص 45).

حيث قدم "محمد غنيم" مجموع هذه التعريفات في أربع محددات متفاعلة فيما بينها على الشكل التالي:

- محددات تكوينية بيولوجية: (معطيات الوراثة، دراسة الأجهزة العضوية، التكوين

البيوكيميائي والغدي للفرد، التنقل الجيني).

- محددات عضوية الجماعة: (الثقافة، بناء قاعدة الشخصية، الأسرة، أسلوب المعاملة، التطبيع الاجتماعي، الضبط والتدريب...الخ).

- محددات الدور الذي يقوم به الفرد: (الموقف، المكانة، جماعات الانتماء النظام التربوي، النظام الإعلامي...الخ).

- محددات الموقف: (سمات الشخصية، كيفية إدراك الفرد للموقف، الأساليب الدفاعية التي يستخدمها الفرد). عن (سيد محمد غنيم، د.ت، ص 63).

تظهر مناهج العلوم الاجتماعية عموماً تنوعاً في المنهجيات والأدوات التابعة لها. ولعل هذا قد يكون ثراءً في الدراسات الاجتماعية. إلا أنه جعل الحقيقة حقائق والموضوعية تختلف من منهجية متبعة إلى أخرى، وما يتبعها من تنوع في النتائج.

على غرار ذلك يتصف علم النفس بتنوع في توظيف المناهج وما يتبعها من أدوات قياس، حيث يذهب البعض إلى تبرير ذلك على أنه راجع إلى تعقد الظاهرة النفسية وما يتداخل فيها من عوامل ومؤشرات مما انعكس (سلبي و/ أو إيجاباً) على تفسير الظاهرة النفسية ومدى الوصول إلى تفسير حقيقتها.

إن الظاهرة النفسية بتداخلها مباشرة مع علم الاجتماع، ومع الطب، ومع الأنتروبولوجيا، ومع علم التشريح، ومع الفلسفة، ومع العلم السايكاتري... يعطيها تنوعاً يتصف بالمطاطية مما يجعلها صعبة التحكم، تفسيراً ومنهجاً وقياساً.

مما نتج عنه أولاً تنوع في التتاولات النظرية النفسية (المدارس) الذي انجر عنه كذلك تنوع في المناهج ثانياً، وتنوع ثالث في استعمال المفاهيم والتعبير بها عن وقائع أصبحت هي واقع النظريات التي انطلقت منها فما:

- مدى تناقض النظريات في مفهومي (الشخصية والذات)؟

- مدى تناقض المفاهيم في مفهومي (الشخصية والذات) ؟

- مدى تناقض المناهج والقياس في مفهومي الشخصية والذات ؟

- ما مآل المفهومين (الشخصية والذات) في ضل تطور علم النفس الحديث؟.

- ما هي الحلول الممكنة لتجاوز الإشكالية المطروحة؟

1- مدى تناقض النظريات والمفاهيم في مفهومي (الشخصية والذات):

تظهر القراءة العميقة لمفهومي الشخصية والذات، مدى تنوع المقاربات المفسرة للمفهومين، ومدى تنوع محتوياتهما من تناول إلى آخر ومدى اتساع مجالهما، وأحياناً مدى تقاربها من بعضهما بعضاً.

إن النتيجة المؤلمة والمررة التي وصل إليها القدامى من السلوكيين (واطسن، بافلوف، ثورندايك، جاثري) في هذا الجانب جعل جبل جديد يظهر متشعب ويعتقد الكثير في المنهج التجريبي، لكنه اعتمد متغير جديد غير المعادلة السابقة، مثير/ استجابة: (م - إ) إلى معادلة أخرى جديدة مثير/ عضوية/ استجابة: (م - ع - إ)، غيرت لب السلوكية وفي أن واحد حافظت على طرفي المعادلة فكان ولادة المنظور الجديد. ولادة تراوج المقاربة السلوكية بالمقاربة المعرفية. فظهر بذلك المولود الجديد الذي يحمل خصائص الضبط المنهجي (السلوكية) وخصائص البعد الإنساني (المنحى المعرفي).

وبذلك اجتمع لأول مرة رأي القائلين بـ (التعلم/العادة) برأي القائلين بالتعلم انطلاقاً من (البنيات المعرفية المختلفة). فظهر التناول (المعرفي السلوكي). وهو انتصار لنداء علماء النفس المستبشرين لتقارب التناولات النفسية المختلفة. الذي سيكون له اثر فيما بعد على تقدم وتطور علم النفس نحو المقاربة التكاملية.

يظهر مما تقدم أن "مفهوم الشخصية" تميز بمعاني مختلفة وفق المدارس والنظريات التي طرحناها أعلاه. حيث يظهر أولاً أن معظم هذه المقاربات تجمع على أن هنالك موضوع في علم النفس يسمى الشخصية (ماعداد السلوكية القديمة). وأن أي فرد إنساني يحمل هذا المفهوم. وأن هذا المفهوم يتكون من أبعاد أو نظم أو أنساق مختلفة وأن هذه الأبعاد تنمو وفق مراحل مختلفة وعليه فإن الشخصية كذلك من صفاتها أنها تنمو قدماً نحو الأمام. وأن مراحل هذا النمو تبدأ والجنين في رحم أمه إلى غاية اللحد. وأن كل مرحلة تحدد بمدة زمنية، وأن لا رجوع في النمو لمرحلة سابقة، وأن مراحل النمو هذه معتمدة على خبرات بعضها البعض. وأن كل نظرية تعتمد على "مفهوم أساسي" تدور حوله مجموعة مفاهيم لا يحق لغير تلك النظرية استعمالها، مما نتج عنه ظهور مدارس حاولت إنتاج مفاهيم كثيرة متولدة من "المفهوم الأساسي" الذي بنيت عليه نظرية الانطلاق مثل (المدرسة الفرويدية، والسلوكية، و المعرفية... وغيرها). إلى أن الغريب في كل هذا أن هذه المفاهيم يجب أن نتصور أنها موجودة على شكل ما وبدرجة ما،

2-2- مدى تناقض النظريات والمفاهيم في موضوع (مفهوم الذات):

إن من أهم السمات التي تميز الإنسان عن المخلوقات الدنيا قدرته على أن يكون واعياً بذاته شاعراً بها. وإذا كان كل من الإنسان والحيوان قادراً على أن يستجيب للبيئة الخارجية وللآخرين، فإن الإنسان قادر بصفة خاصة أن يستجيب لنفسه.

وهكذا يرى ريتشارد.م سوين (1988)، " أن هذا الشعور بالذات هو المصدر الأساسي للهوية، وأن هذا الشعور المسمى "الذات" هو الجوهر الموحد لشخصية كل فرد، الذي يؤدي إلى ما نراه من المعنى والتنظيم، لذلك فإن الناس ليسوا مجرد طائفة متفرقة من الحاجات أو التكوينات الدفاعية... بل يضاف إليهم الإحساس بالاستمرار والاتساق على مر الزمن وعبر الأحداث " (ريتشارد.م سوين، 1988، ص339).

ولذلك يعتبر " مفهوم الذات " هاما بسبب أنه يعمل كمحور وظيفي للكائن الحي. بل يذهب " ثورن Thorne" إلى حد القول بأن الأعمال التي ينجزها الفرد هي الوحدات الأساسية للشخصية، هذه الأعمال منظمة في صورة أدوار متنوعة يلعبها الفرد وهي محددة بتصوراته عن العالم الفيزيولوجي والاجتماعي وإدراكه لذاته. " في (س.هـ. باترسون، 1981، ص107).

وقد استعملت كثيرا من المصطلحات عبر تطور استعمال هذا المفهوم لتصف الذات حيث يمكن تصنيف العلماء المستعملين " مفهوم الذات " إلى صنفين :

مما يعني اجتماع كل هذه المتغيرات (التكوين البيولوجي بشكل معين، والانتماء إلى مجموعة أفراد، والدور الذي يقوم به داخل مجموعته، وكل ما يحيط بهذا الفرد الذي سيقوم بالسلوك. وهذا كله، لكي نقول عن أي فرد من الناس أنه " شخصية ". هذه المعطيات كلها تظهر مدى تعقد موضوع " الشخصية " من جهة وكذلك مدى قربها من التفكير الفلسفي، الذي تنتمي إليه تاريخاً وفكراً. وبالرجوع إلى تاريخ ظهور هذا المصطلح خصوصاً في علاقته بعلم النفس

نجد بداية ظهور "علم النفس المعاصر" - كابين للفلسفة والسيكولوجيا التجريبية - برز في أواخر القرن التاسع عشر. أما نظرية الشخصية فهي تدب في نشأتها بالكثير للطب ومقتضيات الممارسة الطبية والمتأثرة إلى حد كبير بالفلسفة. والحقيقة أن العمالة الأوائل في هذا المجال (فرويد يونجوماكدوجل) لم يدرسوا الطب فحسب، بل مارسوا العلاج النفسي كذلك. وهذه الصلة التاريخية بين نظرية الشخصية والتطبيق العملي ظلت جلية أثناء تطور علم النفس كما أن لها أهميتها في التمييز بين هذا الضرب من النظرية وبين ضروب أخرى معينة من النظريات السيكولوجية. بتصرف عن (ك.هول، و ج.لنزي، دت، ص 16). إن مفهوم الشخصية نما فيما بعد في إطار النظريات النفسية المختلفة الأخرى ذات التوجه التجريبي وشبه التجريبي القياسي (السلوكية، والمعرفية، والغشطنية، والظاهرية، والنسقية) لكن ليس دائماً تحت نفس التسمية ولا لنفس الهدف. لذلك في نظرنا وحسب قرأتنا للموضوع، فإننا نقترح - وهذا تسهيلاً للقارئ - تقسيم هذه التناولات المختلفة لموضوع الشخصية إلى ثلاث توجهات أساسية تظهر في:

- التوجه القائل بالنمو المرحلي للشخصية. مثل مقاربة جيزل (نموذج بيولوجي)،

مقاربة فرويد (نموذج تحليلي دينامي)، مقاربة أريكسون (نموذج تحليلي اجتماعي)، مقاربة بياجيه (نموذج معرفي)، مقاربة كهلبرج (نموذج أخلاقي)... الخ. حيث يلاحظ أن هؤلاء الباحثين تناولوا الشخصية من زوايا مختلفة كأنها فيفساء أو بيزل يمكن تركيبه. دون اعتبار لبقية الزوايا الأخرى.

- التوجه القائل بأن الشخصية تنمو كوحدة كلية:

ينطلق هذا التوجه من أن الشخصية تنمو ككل دون ارتقاء من مرحلة إلى أخرى، لذلك يصعب أن نتبين فيها مراحل منفصلة. و أن تهتم النظريات ببعد أو مجال معين من الشخصية ومن هذه المقاربات على سبيل المثال لا الحصر: نظرية المجال عند كيرت لوين، ونظرية التعلم الاجتماعي عند باندورا، ومدرسة الغاشطالت (فيرتايمر، كوفكا، كوهلر)، والمدرسة الانسانية (ماسلو، كمبوزونينج، روجرز... وغيرهم).

- التوجه الذي ينفي تماماً مفهوم الشخصية، ويحل محلها مفهوم السلوك:

إذا استعملنا تعبير نمو الشخصية فيعني بالضرورة أن هناك تناولات لم تقل أصلاً بهذا النمو، بل لم تقل أصلاً بوجود مفهوم الشخصية فما بالك نموها. ولعل المدرسة الأقرب لهذا هي المدرسة السلوكية وخاصة السلوكية الإرتباطية القديمة (بافلوف، واطسن، ثورندايك، جاثري، سكينر... الخ). التي نظرت إلى الشخصية على أساس عدم وجود ثابت دائم، وبهذا المعنى ليست الشخصية أكثر من مجرد عناصر (المثير - الاستجابة). بل هي مجموعة من العادات الخصوصية في جوهرها تعتمد على مسألة التعلم.

وقد وصفت الذات بأوصاف مختلفة حسب السياق الذي جاءت فيه
مثل:

تقبل الذات، تحقيق الذات، تنظيم الذات، الشعور بالذات، الوعي بالذات، صورة الذات، الرضا عن النفس، تقدير الذات، احترام الذات، مفهوم الذات الأكاديمي، مفهوم الذات المثالي، مفهوم الذات المؤقت، مفهوم الذات المدرك، مستويات الذات، مفهوم الذات الخاص، فعالية الذات، حكم الذات، الخ.

فمهما حاولنا حصره فسوف نجد له متغيرات تتداخل فيه: فنجد تداخلا بين مصطلحات " مفهوم الذات والشخصية، مفهوم الذات و الأنا، مفهوم الذات و الأنا الأعلى مفهوم الذات والآخر، أما البعض الآخر فيلغيه تماما بحكم أنه يصعب التحكم فيه إجرائيا ". وذلك حسب الطرح التالي

- مفهوم الذات من منظور المدرسة الفرويدية

يرى البعض أنه عبارة عن جزء تابع لل"هـو" نما عن طريق التفاعل بين الهـو والضبط الخارجي (فرويد، كلاين...الخ). وعند البعض جعل الذات تتكامل بصورة متأخرة لتحل محل الأنا وتتسق بين الأنا وكل الشخصية (بونج)، وعند البعض يكاد يكون هو الشخصية " أدلر، لوين، روجرس...الخ"، ولدى البعض الآخر يكاد يكون هو " الأنا " حيث يرى سولفان " أن " نظام الذات " يميل إلى الانعزال عن بقية الشخصية، وقد لا تحقق نجاحا في الاستفادة من الخبرة. مما يعيق الفرد من الحياة البناءة مع الآخرين. هذا الكلام متشابه إلى حد كبير مع وظيفة " الأنا " في التصور الفرويدي.

- مفهوم الذات من منظور تحليلي اجتماعي

و يذهب " سولفان " إلى أن " نظام الذات " توضع أسسه في مرحلة الطفولة الأولى عندما يزال الطفل في علاقة مباشرة مع أمه. و وظيفته بالأخص تجنب الحصر من المجتمع الحديث، بل يذهب إلى أن يجعله يقاوم التغيرات في الشخصية. وهذا يظهر بعض الاختلاف من حيث أن " نظام الذات " ينبثق من التفاعل الاجتماعي المرتبط بالأخص بالأم وليس بقية أفراد المجتمع. ولا حتى الأب وبقية أفراد الأسر الآخرين.

يظهر هذا الطرح تناقضا في وظيفة " نظام الذات " مع الشخصية. بينما " الأنا " الفرويدي يعمل حتى ولو اضطر إلى استعمال الآليات الدفاعية لضمان بقاء الشخصية متماسكة. كما أعطى بعض وظائف " الهـو " الفرويدي " لنظام الذات " كمحاولة عزل الشخصية ومقاومة التغير فيها.

من هنا نلاحظ ما لأفكار فرويد من تأثير في تناول التحليل الاجتماعي بالأخص مقارنة "سولفان " فبالرغم من ادعاء الانفصال عن الأفكار الفرويدية. إلا أن الأدلبيين بقوا يستعملونها بطرق مختلفة.

وهذا يعني أن " مفهوم الذات " بقى إلا حد كبير يتجاوزه التحليل النفسي - رغم أن فرويد كما قلنا- لم يستعمل كثيرا هذا المصطلح في كل كتاباته مع بعض التغيرات الطفيفة المتمثلة بالأخص بفكرة التفاعل الاجتماعي الضيق المبني على الاستعداد الاجتماعي الأدلري (أدلر، سولفان، فروم).

- مفهوم الذات من منظور نفسي اجتماعي

بينما نظر تناول "النفسي الاجتماعي" الذي يمثله بالأخص كل من (كولي، ميد...الخ) . إلى أن مفهوم الذات وليد البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد، أي الفرد في مواجهة الآخر. ولم يعد الآخر هنا الأم فقط كما هو عند فرويد، ميلاني كلاين، سولفان...الخ ("الشريعة / الخيرة" . بل الآخر كل من له علاقة بالطفل منذ ميلاده إلى غاية نضجه. الآخر هنا

- علماء نفس ذوي نزعة فلسفية نوعية: حيث يرون أنها عملية مستمرة للحوار الداخلي.

- علماء نفس ذوي توجه إيجابي وكمي: حيث يرون أن الذات هي الأوصاف التي يطلقها الناس على أنفسهم.

كما يمكن تصنيف مستعملي مفهوم الذات إلى:

- علماء نفس أمثال (فريديف Freud و ألبرت Allport و كانتريل وشريف

- Contril&Sherif وجولشدنين Goldsteine، ليكي Lucky و أنجيلAngyal...) حيث يرون عموما أن الذات تقابل " الأنا " .

- علماء نفس أمثال (شين Chein و مورفي Murphy وهيلجارد Higard و سيموندس Symonds وازوبل Ausubel...) حيث يميزون بين استخدام مفهومي " الذات " و "الأنا " .

ويعبر " مورفي " بصورة واضحة عن ذلك بقوله: إن الذات هي الفرد كما هو معروف للفرد والأنا هي مجموعة من النشاطات التي تهتم بتعزيز الذات ودفعها إلى الأمام والدفاع عنها. ويعني استعمال "الذات" هنا الهدف الذي يتكون من الكثير من المواقف والمشاعر نسبة إلى الشخص نفسه. في حين يتم استخدام الأنا بإحالتها إلى العمليات أو الأنشطة المرافقة.

كما يقدم " اوزوبل Ausubel " توضيحا أكثر حيث يرى أن الذات أساسا تتكون من مكونات إدراكية حسية، فيما تتألف " الأنا " من هذه الإبركات الحسية ومن مكونات مفاهيم أخرى مؤثرة تمثل تصورات الذات وقيمتها. يتصرف عن (روضة عبد الله المطوع ، 1998 ، ص ص 26-27).

- علماء نفس أمثال (روجرز، Carl Rogers ،

كومزوسنيجSnygg&combs و وايلي

Wylie...) ، حيث يرون أن الذات عبارة عن " غاشطات " كلي. ومن ثم لا يمكن أن يكون لها معنى إذا قسمناها إلى وحدات، وفي أن واحد ليس لها معنى إذا لم يكن لذلك المعنى تعبيراً عن الفرد نفسه المنطلق أساسا من إطاره المرجعي الخاص به.

وهكذا يلاحظ أن هناك اختلاف في استعمال مفهوم " الذات " بين الكمي والنوعي وبين "الأنا التي تقابلها الذات"، وبين الذات ككل غاشطات لا يمكن فصله إلى وحدات ثم تركيبه من جديد هذا من جهة. ومن جهة أخرى، هناك كذلك اختلاف في استعمال معنى " مفهوم الذات " فهو لدى البعض عبارة عن (عملية) لدى كل التحليليين " فرويد سيموند سميرفي وغيرهم " ولدى البعض الآخر عبارة عن (موضوع) بالأخص منهم أصحاب المدرسة الظاهرية (روجرز، كيلي، مازلو...وغيرهم).

وهناك منظور ثالث يجمع ما بين (العملية والموضوع) ويمثله كل من (سنيج و كومز).

غير أن الذي يجمع بين كل هذه التيارات المختلفة أنها تتفق حول " وظائف الذات " على أنه النواة التي تقوم عليها الشخصية كوحدة مركبة ديناميكية، وأنها المعنى المجرد لإدراكنا لأنفسنا جسميا وعقليا واجتماعيا في علاقاتنا بالآخرين.

إن نتيجة هذه الاختلافات حول استعمال " مفهوم الذات " وُد تعبيرات مختلفة وصفت بها "الذات" حسب الحالات التي تكون عليها وهذه التعبيرات تدور حول التقويم والإنجاز والإيجابية والسلبية، والمثالية، والمؤقتة، والمدركة...الخ. - وهي كلها تتعكس في شكل سلوكيات يؤديها الفرد يوميا إما تجاه ذاته أو تجاه الآخرين - حيث بنيت عليها نظريات تتناول الذات في أحوالها المختلفة، سنراها لاحقا.

فلا معنى لهذا التفاعل بين هذه العناصر المكونة لمفهوم الذات، إذا لم يكن لها معنى موجود داخل خبرات وتجارب الفرد المدرك نفسه. ولا يمكن أن يطلع عليها الآخرون إلا عبر الفرد نفسه.

3 - مدى تناقض المناهج والقياس في مفهومي الذات والشخصية؟

الكلام عن المناهج هو الكلام عن كيفية قياس مفهومي (الشخصية والذات). فاستعمال المنهج الوصفي والتجريبي والمقارن ودراسة الحالة... الخ كلها مناهج تستعمل مع المفهومين بنفس المنطق ولا خلاف بينهما. فقد تتناول بطريقة سيكومترية أو طريقة إسقاطية. وبناء على ذلك نحن نتكلم هنا عن القياس، فما هي المقاييس المستعملة في كلا المفهومين؟ لقد أقيمت عدة محاولات لقياس مفهومي الشخصية والذات. وذلك ضمن ما يسمى عموماً باختبارات الشخصية، حيث يلاحظ اشتراكها في طبيعة القياس كـ:

- اختبارات الورقة والقلم: وهي الاختبارات التي يجيب فيها المفحوص كتابياً على أسئلة تطرح عليه.

- اختبارات الأداء: حيث يتوجب على المفحوص القيام بعمل يديوي ما.

- الاختبارات الفردية: وتقوم على أساس الطريقة العيادية، وتهتم بالأخص بالحالات الفردية.

- الاختبارات الجماعية: التي تنطبق في وقت واحد على عدد كبير من المفحوصين.

- الاختبارات الموضوعية: (اختبارات الذكاء والاستعدادات...)

- الاختبارات الإسقاطية: (اختبار رورشاخ، و تفهم الموضوع، (راشد/ طفل)، الإدراك الأسري...)

... فإن كلا النوعين من الاختبارات يقيس في حقيقة الأمر الشخصية في مفهومها الواسع... (لويس كامل مليكة، 1977، ص 327).

- الاستخبارات (الاستبيانات).

- مقاييس التقدير.

- الطرق الإسقاطية.

- اختبارات السلوك الموضوعية.

- المقاييس الفيزيولوجية.

وهكذا يلاحظ تتعدد اختبارات (الشخصية والذات) من قياس للميول إلى اختبارات الشخصية من نوع استبيان التقرير الذاتي، إلى اختبارات موقفية، إلى أساليب إسقاطية. وهذه بدورها يمكن تصنيفها.

إلا أن هذه المقاييس عموماً يوجه لها نقد مفاده أنها لا تقدم وصفاً حقيقياً لمفهومي الذات والشخصية. والرد على ذلك مباشرة كما يقول صفوة فرج وسهير كامل هو "... ما يهمننا ليس حقيقة هذا الوصف ولكن ما يعتقد الشخص أنه حقيقة... " (صفوة فرج، وسهير كامل، 1985، ص 1).

من كل هذا نستنتج أن طبيعة المفهومين تثير العديد من المشكلات - وهذا ما أشرنا إليه سابقاً - فمثلاً كما يقول صفوة فرج "... من الجانب العملي هل نبدأ بقياس المفهوم أم نبدأ بتعريفه". (صفوة فرج، وسهير كامل، 1985، ص 8). وأي هذه الاختبارات أكثر إجرائية وموضوعية للمفهومين؟

هم كل المحيطين بالطفل في مراحل نموه المختلفة. وعندما نقول الآخر، سيرتبط ذلك بإدراك الطفل، فكلمنا نما إدراك الطفل نما معه معنى الآخر، فينعكس ذلك على تكوين " مفهوم الذات ".

إن الآخر هنا هو كل المهمين في حياة الطفل وبالضرورة يأتي على رأس هؤلاء المهمين " الأم والأب " ثم كل الآخرين. ومن ثم فإن معاملة المهمين في حياة الطفل " الأبوين أو من يقوم مقامهما " سيكون صداه جد قوي على نمو مفهوم الذات، كلما أدى ذلك إلى اتساع إدراك الطفل أكثر. فالآخر هو مرآة يرى فيها الفرد نفسه.

بل ذهب أنصار هذا الطرح إلى القول من نظرة الآخرين لنا (الأم، الأب وكل الآخرين) نتعلم الاستجابة أو التحكم في أنفسنا. وذلك عن طريق توقع كيفية استجابة الآخرين لنا أو حكمهم علينا. ومعنى هذا أننا نرى أنفسنا في عيون الآخرين.

يرى " جوج ميد " أن الطفل يستمد مصدره للتنظيم الداخلي - من نظرة الآخرين لنا - الذي يساعده على توجيه وتثبيت سلوكه في حالة غياب الضغوط الخارجية.

بهذا يكون كل من " كولي و ميد " جعلنا تكوين " مفهوم الذات " كلياً من نتاج البيئة الاجتماعية.

وبذلك أطوا السببية الاجتماعية كلياً محل السببية البيولوجية التي يقول بها فرويد. وتصبح الشخصية ومنها " مفهوم الذات " بين حتميتين أحدهما مر. وأن الفرد ليس له دخل في ذلك فهو مجرد متفرج وما عليه إلا القبول بذلك. وهو الصراع القديم بين الوراثي والمكتسب، بين الداخل والخارج، بين الفردي والجماعي، بين الشعوري واللاشعوري... الخ.

- مفهوم الذات من منظور كلياتي

إلا أن التناولات الحديثة لمفهوم الذات من زاوية " تقدير الذات " عموماً والتي يمثلها خصوصاً كل من " روزنبرج، كوبر سميث، زيلر " أعطت قسطاً معتبراً إلى الفرد في المشاركة في تكوين ذاته. ولم يجعلوه مجرد متفرج بل تقبل الذات التغييرات التي تمر بها. فقد خصص " كوبر سميث " القائل " بتقدير الذات " ثلاث ظروف لارتقاء الذات وهي تقبل الوالدين، تقوية الحدود الواضحة والمحددة للأطفال من خلال الوالدين، النظر للفرد لا أو وأخيراً داخل الحدود من خلال الوالدين.

إن فكرة التفاعل بين المشاركة الذاتية وتأثير المحيط الاجتماعي التي وصل إليها كل من " روزنبرج، و كوبر سميث، و زيلر "، والتي تناولها فيما بعد بصورة أكثر ذاتية كل من (بجنتال، ليكويير، سوير) أقرب إلى الواقع منها إلى انعزال تكوين مفهوم الذات داخل الشخصية (أدلر ، سوليفان ... الخ) أو تكوّنه من خلال تواجد الآخرين (كولي، ميد ... الخ) .

وهي نفس الفكرة التي قال بها (كارل روجرز و كيرت لوين ... الخ) . حيث يظهر بالأخص أن روجرز جمع في تفسيره لـ " مفهوم الذات " بين النظرية الكلية والعضوية كما جاءت عند " جولد شتتين و مازلو، انجيل، وبين طرحة سوليفان في العلاقات الشخصية، ومشاركة كل من ريمي وليكي، وظواهرية " سنيجكومبز " بالأخص.

بهذا ظهر " مفهوم الذات " عند روجرز كعنصر في الشخصية وليس كل الشخصية رغم أنه جمع فيه بين الجانب البيولوجي والمكتسب بين الشعوري واللاشعوري، كما يدرك من قبل الشخص نفسه، وكل ذلك على ضوء خبراته وتجاربه السابقة .

4- مأل مفهومي (الشخصية والذات) في ضوء تطور علم النفس الحديث

إن ما تعرضنا إليه مفهومي (الشخصية و الذات) من ضبط و محاولة تحديد وقياس لدلالة على أن المفهومين تزداد فيهما الاختلافات أكثر فأكثر. ولعل هذه الاختلافات قد ترجع إلى اتساع مجال المفهومين من جهة وإلى اعتماده على تكوين ومحتوى يصعب الاتفاق حوله ومن ثم يتعذر التحكم فيهما لا بالقياس ولا بالضبط.

ظهر مما سبق أن موضوع الشخصية لا يقل اختلافا عن موضوع الذات، فإذا كان السلوكيون قد أوجدوا بديلا لهذا المفهوم الأخير وأحلوا محله مفهوم "السلوك" وهكذا ضيقوا نسبيًا هوة النزاع، رغم ما صاحب ذلك من مشاكل منهجية في دراسة السلوك. وبذلك أتاح إخراج مفهوم "علم النفس" من ظلمة الدراسات الاستبطانية ذات الميل الفلسفي الأدبي من جهة، إلا أنه أسقط الدراسات النفسية من جهة أخرى في التجزيئية والتشبيئية. مما غدى النزاع من جديد حول المنهج الأصح لهذا العلم والذي مازالت معالمه إلى حد الآن مستمرة في الدراسات الحديثة. وبصورة درامية كبيرة يذهب سكينر إلى القول " أعطني الخصائص والمواصفات المطلوبة وسوف أعطيك الإنسان" عن (س.هـ. باترسون، 1990، ص 554).

وهذا نفسه ما انطبق على استعمال مفهوم الذات، فابتداء من دخوله الدراسة (العلمية) على يد "جيمس ومرورا عبر كولي، وميد، وقولدشتين، وأدلر، وكومبز، وروجرز،... وغيرهم أن مفهوم الذات مر بأوصاف ومحتويات وقياسات مختلفة وكلها تشير أحيانا إلى مجالات مختلفة داخل النفس (الشخصية). وكان الشخصية هذه مدينة كبيرة بشوارع متعرجة ومتداخلة تتواجد في ظلمة دائمة، وبدون عناوين والداخل فيها لا يستطيع الخروج منها. وبالرجوع إلى أدبيات "دراسة الذات" يلاحظ أن أكثرها يجعلها مجرد بعد من أبعاد الشخصية، لكن عندما راجعنا الذين قالوا بأبعاد الشخصية بصورة مضبوطة (كاتل، ايزنك، جيلفورد) لم يسيروا أبدا إلى ذلك، بل حصروا أبعاد الشخصية أساسا في بعد "الإنبساطية، والعصابية، والذهانية" ثم أضافوا بعد ذلك بعدين آخرين يتفاعلان مع الأبعاد السابقة هما الذكاء (قدرة عقلية عامة)، المحافظة ويقابلها الرادكالية. فماذا إذا تعتبر الذات إذا لم تكن بعدا من أبعاد الشخصية؟

وحتى الجانب المعرفي الذي تعتمد عليه الذات بالخصوص ومنها موضوع "الإبراك"، أدخلوه جماعة أبعاد الشخصية في بعد الذكاء، باعتباره عاملا يمثل الجانب المعرفي في الشخصية، فأين نضع "الذات" مرة أخرى؟ هل هي عامل منسق بين كل هذه الأبعاد؟ وبذلك تصبح تعمل كنظام "الأنا" الفرويدي، أم تضاف إلى أبعاد الشخصية وبذلك تشكل في عمل هؤلاء المعتمد بالأخص على الإحصاء؟ أم هي الشخصية نفسها، وبالتالي نستعاض عن مفهوم الشخصية بـ " مفهوم الذات"، وسنكون عندها قد فسرنا الماء بالماء. رغم أن مصطلح "البعد" في حد ذاته يعرفه جيلفورد على أنه تخطيط رمزي يساعدنا على فهم الشخصية، فهو كذلك يلاحظ أنه مجرد مفهوم مثله مثل الشخصية، الذات، الذكاء، الدوافع... الخ.

عموما إن " الشخصية ومفهوم الذات" من حيث مواصفاتها المختلفة التي ذكرناها سابقا، فإنه سيعترضنا تعذر قياسهما، بل أحيانا نسقط في التناقض بين هذه المواصفات، كما أنه أحيانا لم يتوصل إلى هذه المواصفات بإجراء بحوث ميدانية، بل مجرد مواصفات أطلقت من وحي الذات نفسها. وهي في هذا أعني مواصفات الشخصية والذات تصبح مجرد "عمل فكري" ليس به نكهة الأدب، ولا منطق الفلسفة، ولا موضوعية العلم.

إن هذه النتائج ترجعنا إلى المصطلح الأساسي الذي دخلت تحت جلبابه كل المصطلحات النفسية ألا وهو مصطلح "علم النفس". كعلم ظهر في بداية القرن العشرين مستقلا عن الفلسفة كما يدعي البعض من علماء النفس.

حيث ظهرت علته انطلاقا من تسميته غير المعبرة تعبيرا صحيحا عن محتواه. وما زالت ملازمة له إلى يومنا هذا.

حيث بدأت تتآكل حدوده، فعلم البيولوجيا والنورولوجيا والسايكاري والطب كلهم يتوسعون على حسابه من جهة، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا... وغيرهم، من جهة أخرى. رغم أن علم النفس هو الحلقة الموصلة بين كل هذه العلوم. فهل يأتي اليوم الذي تدمج فيه المعرفة النفسية في هذه العلوم؟ أم سيتوسع علم النفس على كل هذه العلوم وتصبح مجرد نقاط مضيئة تدور حوله؟

وبالرغم أن الذين شاركوا في ميلاده (علم النفس)، وبداية العمل به أكثرهم، بل جلهم علماء معنى الدقيق للكلمة، وليسوا لا أدباء ولا شعراء. فماذا استفاد علم النفس منهم؟ إن وضع مصطلحات ك: الذكاء، الوراثة، الطابو، الصراع، القلق، الشخصية، الذات... الخ. كلها من وضع هؤلاء العلماء الذين ينتمون إلى العلوم الدقيقة. وعند فحص هذه المفاهيم، فإننا نجدها مكبلة بمحتويات غائبة ميتافيزيقية، يصعب في كثير من الأحيان التعامل معها. ضبطا وقياسا، ما عدى عن طريق التخمين.

وهنا يجب أن يطرح سؤال أساسي مفاده ماذا نقيس في علم النفس (نظرا لعدم التحكم).

حاول البعض الإجابة على هذا السؤال الملغم منهم "أحمد محمد عبد الخالق 1985". "... أن القياس يتم عامة في علم النفس لجانبين هما: الاستجابات، ويتم هنا القياس على مستوى المشاهدة. السمات: وهو قياس غير مباشر على مستوى الاستنتاج..."

إذ يلاحظ أن هذه الإجابة عامة، ذلك أنه لا استجابة دون مثير كما يرى السلوكيون القدامى (بافلوف، واطسن، ثورندايك) بالأخص وهم الذين اهتموا أكثر بالمثير وحاولوا قياسه والاهتمام به أكثر وذلك لأنه يتواجد خارج ذات الإنسان، أي ذو طابع بيئي. لذلك يمكن ملاحظة ضبطه وقياسه وبناء قوانين عليه. وهذا فعلا ما فعلته السلوكية الأولى (قوانين الإشراف، المحاولة والخطأ، التعميم... الخ). خاصة، بينما بقت

نظريات الشخصية إذا ما حاولت القياس، فهي تقيس أشياء مفترضة أنها موجودة وما دامت مفترضة فإن مساحة الاختلاف ستزداد حولها. لأن وسيلة القياس هنا مرتبطة مباشرة بالنظرية المستقاة منها. ولا وجود لاختبار دون خلفية نظرية وإلا ماذا سنقيس؟

إن النظرية عادة ما تكون نقطة البدء في إيجاد الطرائق والوسائل للقياس، وأن العلاقة تبادلية بين النظرية والقياس. وقد ظهر ذلك بالأخص في النظريات العاملة التي تتفق في الهدف العام، وهو الكشف عن أبعاد الشخصية لدى أبرز العاملين في هذا المجال وهم بالأخص كل من "كاتل، وايزنك، وجيلفورد".

حيث يلاحظ مدى الارتباط بين النظرية ووسائل قياسها، إذ يمكن للنظرية أن تطور القياس، إذا وضعت بصورة أكثر موضوعية، والعكس كذلك صحيحا. فالتجربة كما يقال بلا نظرية عمياء، والنظرية بلا تجربة عرجاء.

إن المعطيات هذه مجتمعة تجعلنا لا نستبشر خيرا بحاضر علم النفس المدعي للعلمية، ولا لمستقبله إذا بقت هذه المصطلحات الغير القابلة للضبط هي التي تقود دربه.

5- ما هي الحلول الممكنة لتجاوز الإشكالات المطروح؟

إن الطرح المتضارب بين علماء النفس لـ "مفهوم الشخصية والذات" ما هو إلا عينة صغيرة تعبر عن تضارب يمكن تعميمه على معظم مصطلحات علم النفس. (الدوافع، الذكاء، السلوك، الإنفعال، السمة، القدرات... الخ). ومن ثم فإن هذه الوضعية التي تدور بين العلمية وغير العلمية، بين الموضوعية والذاتية، بين القياس وعدمه. نرى أنه لا يخدم تطور علم النفس.

حيث يمكن أن ينظر إليه على أنه متعدد الأبعاد بدل من بعد واحد، كما عند (المدرسة التحليلية،

والسلوكية)، ليصبح ذو بعد فردي يقابله بعد اجتماعي جماعي، وذو بعد وراثي يقابله بعد مكتسب متعلم، وذو بعد لا شعوري يقابله بعد مدرك، أو بعد داخلي يقابله بعد خارجي. (ناصر ميزاب، مدخل إلى سيكولوجية الجنوح، 2005، ص 1). وهذا ما يمكن أن يؤدي بنا إلى:

إمكانية (توحيد أو دمج المناهج المستعملة حالياً في الدراسات السلوكية) في منهج واحد يمكن أن يطلق عليه تسمية بعيدة عن كل المصطلحات السابقة حتى لا يثير حساسية بعض منظري علم النفس الحالي.

أي يعني المصطلح بين المنهج السيكمترى (التجريبي الإحصائي)، والمنهج الاسقاطي (الذاتي الاستبطاني). ذلك أن السلوك كما قلنا متعدد الجوانب ولا يمكن التحكم فيه باستعمال منهج واحد وإنما بواسطة Un combiner de méthode" مما يعطينا المطاطية في عملية القياس والتجريب بأشكال مختلفة (الاختبارات الموضوعية والاسقاطية في آن واحد. وهكذا يمكن أن نلم بكل أبعاد السلوك ومن ثم بكل أبعاد الظاهرة الإنسانية. ويبطل النقاش حول مدى علمية محتوى علم النفس الحالي، وفي آن واحد، توحيد محتوياته وإعطائها شرعية القياس الموضوعي. وهكذا كذلك تنتصل المعرفة النفسية من عقدها الحالية عقد "ألا موضوعية". لتدخل في مصاف العلوم بمفهوم الكلمة التي لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها.

6- مراجع الدراسة

- 1- باترسون، س.هـ (1981)، نظريات الارشاد والعلاج النفسي، ترجمة: أحمد عبد العزيز الفقي، دار القلم، الكويت.
- 2- باترسون، س.هـ (1991)، نظريات الارشاد والعلاج النفسي، ترجمة أحمد عبد العزيز الفقي، دار القلم، الكويت.
- 3- رتشارد سوين (1988)، علم الأمراض النفسية والعقلية، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، مكتبة الفلاح، الكويت.
- 4- روضة عبد المطوع (1998)، تقنين مقياس بيريز هاريس لمفهوم ذات الأطفال، واقتراح برنامج لتعديل مفاهيم الذات السلبية لدى أطفال دولة الإمارات، دكتوراه دولة غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة في الدراسات النفسية والاجتماعية، عين شمس، مصر.
- 5- سيد محمد غنيم (د.ت)، سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة. مصر.
- 6- عبد المطلب أمين القريطي (1998)، في الصحة النفسية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 7- ك. هول، وج، لندزي (د.ت)، نظريات الشخصية، ترجمة فرج أحمد فرج، قدرى حنفي، لطفي محمد فطيم، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 8- ناصر ميزاب (2005)، مدخل إلى سيكولوجية الجنوح، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
- 9- ناصر ميزاب (2006-2007) المعاملة الوالدية للحدث الجانح وعلاقتها بمفهوم الذات، دكتوراه دولة، قسم علم النفس وعلوم التربية والارطفونيا، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر.

حيث أصبحت الدعوة ملحة اليوم إلى تقارب علماء النفس مع بعضهم البعض - هذه الفكرة كان قد دعى إليها في الستينات كل من " كارل روجرز، البير باندور...الخ" في ملتقيات دولية مختلفة - وذلك ولو تقارب في بداية الأمر بين النظريات التي تضمها المدارس نفسها مثلاً تقارب التحليليين، أو تقارب السلوكيين، أو تقارب المعرفيين. فيما بينهم أولاً، ثم تأتي مرحلة أخرى يتم فيها التقارب بين هذه المدارس المختلفة.

أما كيفية هذا التقارب فسيتم بمراجعة التراث النفسي الغزير وتثقيته من هذه الاختلافات، حتى لا أقول الشوائب التي أضرت به. وفي تاريخ التقارب هذا حدث تجربة تقارب بين (المدرسة التحليلية الفرويدية والمدرسة السلوكية) على يد كل من (دولارد ميلر) وتجربة الاندماج بين المدرسة السلوكية والمعرفية على يد (باندورا وآخرون) حيث أعطت نتائج جد مهمة في ميدان العلاج النفسي، - إنطلاقاً من فكرة "مثير-عضوية-استجابة" وما نتج عنها من تطور فيما بعد. حيث أصبحت تسمى بـ " السلوكية المعرفية ". وهذا ما زاد علم النفس الحديث تطوراً نحو الضبط العلمي الأكثر دقة

كما أن تجربة " التناول التكاملي" في الميدان النظري والمنهجي في آن واحد. يمكن أن تعطي نتائج معتبرة. ولقد نادي إليها الكثير من جهابذة علم النفس ومنهم ك. هول لندزي، و باترسون... وغيرهم. والآن أصبحت حقيقة مأخوذ بها في حدود، رغم محاولة المقاومة من البعض.

كما ظهر من التحليل السابق أن " المصطلحين" أصبحا ملكا لجميع المدارس النفسية المختلفة، فقط يظهر أنهما استعملا بتسميات مختلفة، وهذا في رأي يمثل نوعاً من التقارب بين التناولات المختلفة لعلم النفس يمكنه أن يستغل في تعزيز هذا التقارب ودفعه من خلال تراكم الدراسات إلى التطور نحو إيجاد التكمال بين هذه التناولات المختلفة. وهنا أشير إلى أنه يجب أن تكثف الدراسات الأكاديمية في هذا الجانب

هذه المحاولات المختلفة لتقريب معطيات علم النفس المختلفة (النظريات، المفاهيم، القياس "الاختبارات"، المناهج...الخ) ، تجعلنا نزداد جسارة في القول بتعبير "مصطلح علم النفس" الذي أصبح غير قادر على تحمل التطور الحاصل في جميع مناحي الحياة والذي يتوجه بقوة نحول تكامل دراسات الإنسان. بمصطلح أظهر الواقع أهميته - والتي كانت أشارت إليه المدرسة السلوكية عندما كانت في أوج تطورها - في تحمل كل معطيات علم النفس. لصبح "علم السلوك" لماذا ذلك ؟

إن استعمال مصطلح " النفس" في ميدان المعرفة النفسية السائدة حالياً، أصبح يشكل عائقاً في تطور (محتوى علم النفس نحو الموضوعية) لما تحمله هذه المعرفة من إمكانية نمو سريع باعتباره يقع على حدود كثير من العلوم، فهو صلة بين كل العلوم الإنسانية والمادية (الاجتماعية والبيولوجية والطبية). هذه الخاصية أكسبته مطاطية علم الاجتماع في استقراء الظاهرة الاجتماعية، والتحكم التجريبي في العلوم الدقيقة.

وعلى هذا وفي ضوء العامل السابق لأهم مصطلحات علم النفس " الشخصية والذات" يتراء لنا إمكانية إعادة التعريف الإجرائي لمصطلح " علم النفس" في أنه "علم السلوك" ذلك أن مصطلح السلوك قابل للملاحظة والقياس وبالتالي للتجريب عبر أبعاده المختلفة. وهذا عكس مصطلح "النفس" المصطلح المستعمل منذ مازالت المعرفة النفسية في رحم الفلسفة.

إذا انطلقنا من أن السلوك يجب أن ينظر إليه عبر أبعاده المختلفة وهذا عكس ما نظرت إليه جل النظريات في علم النفس. - حتى يشمل الظاهرة الإنسانية "المفردة": (التكوين الجسمي والمعرفي) والمتأثرة بجماعة الانتماء: (التعلم والخبرات) -

سوء استعمال العلوم النفسية

أ. د. يحيى الخياط - الطب النفسي - مصر

rakhawy@rakhawy.org - mokattampsy2002@hotmail.com

وإذا أردنا أن نحدد خطوطاً عريضة مبدئية لمدخل سوء الاستعمال في العلوم النفسية بشكل عام فإننا لا بد وأن نلتقي بمشاكل محدودة المعرفة، وأخطاء المنهج، والأمثلة كثيرة مثل أن يعمم الجزء على الكل، وأن يؤخذ الاحتمال المرجح باعتباره، نظرية ثابتة أو قانوناً مؤكداً، أو أن يكتفى بالصدق التجريبي عن الصدق التاريخي الممتد، وهذه كلها مخاطر تقع في إطار خطأ الإستعمال Misuse مثلما تقع في احتمال سوء الاستعمال Abuse الذي يتضمن سوء القصد المعلن أو الخفي من أحد الأطراف (على الأقل) المشتركين في التطبيق.

وقد يقع سوء الإستعمال في مجال الطب النفسي في الحياة العامة بالنسبة للأفراد حين تستعمل معطياته لغرض التبرير: مثل أن يسمى الفشل التحصيلي (في المدرسة أو العمل أو المؤسسة الزوجية) باسم المرض أو عرض يعفى صاحبه من مسؤوليته تخطيه هذه الإعاقة عادة بسوء استعمال العقاقير والإفراط والتسكين، وكذلك فقد يكون العلاج النفسي أحياناً بديلاً اعتمادياً عن الصحة المتكافئة بين أقران متقاربين إلى آخر هذه الأمثلة المتكررة.

وبالنسبة لبعض معطيات علم النفس فقد يساء استعمالها في الدعاية لمقتنيات بلا جدوى وإثارة الغرائز وحمى التنافس على امتلاك رموز طبقية غير ذات نفع فعلي ... وهكذا.

وكل هذه الأمثلة قد تكون لها أضرار فردية أو إجتماعية مؤقتة أو محدودة قابلة للتصحيح مع زيادة الوعي وتكرار الفشل واستمرار التعلم.

لكن المصيبة الكبرى تتفاقم حين تستخدم معطيات هذه العلوم في تضليل الجماهير وتحريك الجماهير لأهداف غير إنسانية، وإن لبست ثوب الحماس أو الوطنية أو حتى الدينية العصبية في بعض الأحيان، وقد نوقشت مثل هذه المقولات تحت عناوين مختلفة مثل غسل المخ الجماعي، والحرب النفسية، كما ثارت حركة رفض مضادة احتدت بشكل خاص ذي دلالة في موقف بعض فئات العلماء [2] تجاه أحداث بذاتها مثل حرب فيتنام.

وكذلك ثارت مؤخراً هذه المشكلة حين اتهموا الاتحاد السوفيتي باستعمال الطب النفسي لوصم وقهر الفكر المخالف لسياسة الدولة حتى وجه إليه اللوم بأغلبية ما، في ظروف ما، في المؤتمر الدولي السادس للجمعية الدولية للطب النفسي في هونولولو 1977، مما أثار احتجاجه، وما زال الأمر قيد نقاش ممتد عينت له ولمثله الجمعية الدولية للطب النفسي لجنة فرعية خاصة لبحث مشكلة سوء استخدام الطب النفسي بشكل عام [3].

تنشأ العلوم نتيجة للحاجة إليها، شأنها في ذلك شأن ظهور الأعضاء في التطور البيولوجي، وهي تنقوض بالتالي نتيجة لتخطى مرحلتها أو سوء استعمالها أو عدم استعمالها.

ولنا أن نخاف على العلوم النفسية وهي تتعثر ما بين المبالغة في قيمتها دون تأثير فعال، وما بين سوء إستعمالها من أهلها أو غير أهلها ولغير هدفها.

ونركز في هذا البحث على سوء الاستعمال أساساً، الأمر الذي نبذوه بمحاولة تعريف هذا المفهوم وبالتالي أبعاد المشكلة فنقول:

إن "سوء الإستعمال" يعني: أن يوضع العلم في غير ما جعل له، فيعجز عن بلوغ غايته أو أداء وظيفته، فيترتب على ذلك درجة ما من الأذى بشكل أو بآخر.

وهذا التعريف يضعنا في موقف غائي نفعي أخلاقي بالضرورة، وهو يجرنا إلى منطقة "القيم" بلا اختيار والحديث عن العلم عادة يتجنب عامداً الحديث عن القيم لأنه يفضل التركيز على ما يسميه الحقائق Data أو المعلومات Information، وهو يتصور أنه إذ يتجنب الحديث عن القيم يتجنب بذلك تداخل العوامل الشخصية والمذهبية السائدة، ولكن يبدو أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل وخاصة فيما يتعلق بالعلوم النفسية (وخاصة بعد انتشار الاتجاه الإنساني وما بعده).

إذ فالحديث عن "سوء الإستعمال" يستحيل أن يفهم إلا من خلال الحديث عن "حسن الإستعمال"، وإدعاء العالم أنه يعلن الحقائق دون تحيز، وأنه غير مسئول عمن يستعملها، وفيه يستعملها لم يعد يلبي باحتياجات الإنسان المعاصر، وتعاطف قيمة العلم، وتفاقم دوره في توجيه الحياة وتطويرها، ونستطيع في ذلك أن نقول:

إن العلوم كافة، والعلوم النفسية خاصة، إنما تهدف إلى الكشف عن أكبر مساحة من معالم الوجود الإنساني، وعن القوانين التي تنظم هذا الوجود، وعن القوى التي توجه المسار، وذلك لتحقيق وجود أعمق، ووعي أشمل، لعدد أكبر فأكبر من البشر، وباستمرار.

ويصبح سوء الاستعمال، بالمقابلة، هو أن توجه هذه الطاقة المعرفية لغير ما جعلت له مما ذكرنا، ومثال ذلك إن إختبارات الذكاء تفيد في التوجيه والإنتقاء والتصنيف والتقويم الكمي للقدرات، فإذا ما أعد إختبار ذكاء من واقع وعلامات مجتمع متعلم أبيض، ثم طبق بنوصية خاصة من سلطة بيضاء على مجتمع أمي بدائي أسود، فجاءت النتيجة لصالح تفوق ذكاء الرجل الأبيض، فقد خرجت الوسيلة العلمية عما جعلت له، وهكذا.

ومثل هذا الإستعمال السيء قد يسهل اكتشافه، إلا أن هناك تحيزات خفية ذاتية وطبقية تعمل ليل نهار داخل عقول العلماء دون أن يدري كثير منهم عنها شيئاً، يحدث هذا لا في مجال التطبيق فحسب بل إنه يؤثر على مناطق البحث واتجاه المعرفة [1] أيضاً.

مصر وإسرائيل والمشكلة النفسية:

التصورات المسبقة لكل منا عن الآخر، لنستطيع أن نعيد النظر من جديد في كل شيء دون أوهام تعمي البصائر والأبصار، وتبتر استمرار الحال مع الضياع والمناورات الشكلية، فهو - إذا - لم يعن أن تحل المسألة حلا نفسيا وكأنك يا جندي يا مصري ما حاربت ولا غزيت.

وعلى ذلك فهذا الذى فعله العلماء الأميركيون يقولون عنه فى بلدنا وبلد الرئيس أنهم "يسوقون الهبل على الشطارة".

ومن هذا المنطلق وكمواطن مصرى مجتهد، أكثر من كونى أجد المختصين بأحد فروع هذه العلوم، أرسلت مذكرة إلى الزملاء المشاركين فى هذه الندوة قبل توجههم للندوة المذكورة، أجد من المناسب إبرازها هنا بنصها الحرفى.

"السيد الأستاذ الدكتور [6]

بعد التحية:

أتشرف بأن أقدم لسيادتكم برأى اجتهادى يتعلق بمهتكم الكريمة فى حلقة البحث التى ستعقد فى يناير الجارى فى الولايات المتحدة الأمريكية (واشنطن ووترجيت) بشأن العوامل النفسية التى تؤثر فى المفاوضات الدولية، وذلك بصفتى (أولا) مواطن مصرى من حقه بل من واجبه أن يواكب أحداث وطنه من موقع "منتفع - مساهم" معا (ثانيا) عضو عامل فى جمعيتنا الموقرة.

ولا أحسب أن الأمر يحتاج الى تنويه أن رأى هذا هو رأى فردى اجتهادى ليس له أى وظيفة إلا أن ينقل إلى سيادتكم - وسائر الزملاء أعضاء الوفد.

اجتهاد فردى، من يهتمهم الأمر، فإذا أفدتم منه فى مهتكم لصالح بلدى فهذا شيء طيب أحمد الله عليه، وإن طرحتموه جانبا لخلوه مما يضيف إلى رؤيتكم، فهذا شأنكم وقد أبرأت ذمتى، وأنا شاكر لكم فى كل حال.

أولا: أبدأ بأن أبدى تشككى فى جدوى هذا الاجتماع أصلا وفاعليته، إلا أن الشك لا يدفع اليقين، ولكنه يحفز إلى مزيد من اليقظة، وتحفظى هذا لا يعنى أن حلقة البحث هذه بلا جدوى تماما، بل لعل العكس هو الصحيح، إذ مهما كانت النوايا مشكوك فى طبيعتها، فإن النتائج تتوقف على ما نفعله نحن لا ما كانوا ينتوونه.

ثانيا: أود أن أبدى تحفظى ازاء اسم حلقة البحث هذه، وأفضل أن أقصر حديثى مباشرة على ما يهم بلدى، فالظاهر أن الأمر مقصود به تسهيل المفاوضات المصرية الإسرائيلية من خلال إضفاء الثوب العلمى على إجهادها لصالح الخصم ("الخصم" ليست مرادفة "للعدو").

ثالثا: إن أهم ما يعنيننا هو أن يكون هدفنا واضحا أمام أعيننا نحن إذ نشارك فى هذه المهمة، بغض النظر عن نواياهم، وفى تصورى أنه يمكن أن يكون من بين ما يلى من أهداف، إن لم يشملها جميعا:

وسوف نتعرض الآن لموضوع يهمنى أمره بوجه خاص، لأنه يتعلق بموضوع الساعة كما يقولون فيما يجرى بيننا وبين إسرائيل فى معركة السلام خاصة وقد أشرنا فى العدد الأول من هذه المجلة إلى أن توقيت ظهورها كان جزئيا على الأقل للمبادرة بالإسهام بالمشاركة الحضارية مع صديقنا اللود الجديد رأيا برأى، وفكرا بفكر، وإنجازا بإنجاز، وخاصة فى مجال يعتبرونه حكرا لهم [4].

إذا كنا قد رفضنا أن نلصق اسما نفسيا (أو طبيفسيا) بفشل طالب، أو عجز عامل أو تيلد زوج، فالأولى أن نكون أكثر حذرا ونحن نلصق مثل هذا الاسم بمشكلة سياسة شديدة التشعب عميقة الجذور خطيرة الآثار.

أصل الحكاية

ويبدو أن الحكاية قد بدأت من إشارة السيد رئيس الجمهورية إلى أن جزءا كبيرا (حوالى 90% فى بعض الروايات) هو مشكلة نفسية، والسيد الرئيس له ثلاث صفات لا جدال حولها: أنه فلاح مصرى، وأنه يحب تراب أرضنا حتى القداسة، وأنه بالغ الشجاعة، والفلاح المصرى صفات خاصة فرضها التاريخ وعلمتها لياه الزراعة وأدواتها ودوراتها عبر آلاف السنين [5] فإذا قال الفلاح الرئيس كلاما مناسبة ما، مثل "أن نسبة كبيرة من المشكلة هى نفسية"، أو "أن إسرائيل نلقت صدمة كهربائية" إلى آخر هذه التصريحات الحدسية الفلاحية المخترقة فينبغى ألا تقس أقواله إلا من إطار وظيفتها كخطوات وصددمات ومفجآت تترك حسابات العدو على مسيرة طويلة، تحقيقا لهدف بعيد هو كرامة مصر وبناء الإنسان.

إذا فشجاعة الرئيس وتلقائيته الظريفة - بغض النظر عن التفاصيل من قبل ومن بعد - إنما هى من ضمن صفات رئيس دولة مسئول، وهى جزء من مخطط طويل بلا شك، ولكن نص تصريحاته ليست ملزمة للعلم بداهة، ويستحيل أن يكون سيادته قد طلب غير ذلك أو تصور غير ذلك.

ولكن ماذا فعل أصدقائنا انبعاثا من هذه النقطة؟

قام رئيس الجمعية الأمريكية لطب النفسى فى إجتماعه السنوى لسنة 1978 وأشاد بهذا القول - مشكورا - وسجل ذلك فى خطاب الافتتاح المنشور، كما سجل شكره للأطباء النفسيين المصريين وحسن إستقبالهم، وقد أحسنا بالفخر لذلك وحمدنا له حسن صنيعه.

ثم وجهت الجمعية المذكورة دعوة الى بعض الزملاء الأفاضل من الأطباء النفسيين المصريين، ومعهم بعض العلماء والأطباء الأساتذة اللقات لعقد ندوة فى يناير الماضى بشأن "الدور النفسى فى المفاوضات الدولية" تعقد فى "واشنطن - ووترجيت".

ولى هنا والأمر يبدو طبيعيا، ولكن اذا كان الهدف الأخرى هو المفاوضات المصرية الاسرائيلية لا أكثر ولا أقل، وكان الهدف الأخرى من الأخرى هو أن تختزل المسألة من قضية أرض مغتصبة وشعب مشرد وحقوق مسلوبة الى "اسم نفسى" أو "تعبير نفسى" أو قضية نفسية فهنا يكمن الخطر كل الخطر.

لقد نبهنا إلى خطورة وضع لافتة على تصرفات الأفراد تعفيهم من مسؤولية وجودهم واتجاه خطاهم، فما بالك بمصير شعب وحق أرض ومستقبل وطن.

لا أشك فى أن الرئيس المصرى كان صادقا فيما قال، داعيا للهدف منه، وقد تم له ولنا ما أراد من مياغطة، وتغيير اللغة المعادة الممجوجة، والبدء فى استرداد الأرض ومسك زمام المبادرة والمياغطة معا، وإذا أردت ترجمة قوله إلى تصور علمى، لسمعه يقول "دعونا نعتال - بشجاعة المبدعين -

(3) إذا إستعمل لفظ "الحضارة" فقد يعنى عند المفاوض المصرى الهرم الأكبر ورحلا توت عنخ آمون، كما قد يعنى أيضا مسئولية الإنسان المصرى المعاصر بإمكانياته المتواضعة عن سائر البشر طولا (حتى الخلود) وعرضا (حتى قبائل استراليا البدائية ويهود المغرب) ولكن نفس اللفظ (الحضارة) قد يعنى عند المفاوض الإسرائيلى تميز اليهود عامة (لا الإسرائيليين فحسب) ومهمهم لواءات العلم والفن وإنتاجا عبر التاريخ، لا كتعويض طبيعى لشعور أى أقلية، بعدم الأمان، ولكن كتميز خاص اختص به هذا الشعب المختار، ومن ثم أصبح كلمات مثل "نشر الحضارة" أو "الخطوات الحضارية" تعنى لديهم التفضل بقيادة الأقل تميزا (مثل العرب والمصريين المعاصرين) نحو مستوى أفضل من التغذية والسكن، وذلك بفتح الأسواق بعد إلقاء السلاح حتى يستطيع قادة البشرية المميزون من اليهود حسن استعمال هذه الطاقة البشرية التحتية للتقدم بالإنسانية، وإرساء قواعد "الحضارة" (!!!).

والأمثلة غير ذلك كثيرة، والحذر من مثل هذا الخلط واجب.

ويمكن أن نقترح توصية شبه علمية فى هذا الصدد تقول:

"براعى أن تكون الألفاظ المستعملة فى المفاوضات حتوى تضمينى Connotative واحد، وعدم الإكتفاء بوظيفتها الدلالية Denotative أو الاختفاء فى وظيفتها اللفظية Verbalismic (?!?!).

2- التمثيل:

إن المفاوض مثله مثل رئيس الدولة أو عضو البرلمان، لا يتكلم نيابة عن نفسه، وإنما هو ممثل لمن أنابه، وحتى تكون المفاوضات مثمرة ينبغى أن تدرس قواعد التمثيل من منظور علمى مثلما تدرس فى عينات البحث، أو عند تقويم الاختبارات النفسية، فالعينة الممثلة Representative Sample لها شروطها الصعبة كما يعرف العلماء، والمفاوض الممثل له مواصفاته، ويمكن للعلم أن يضيف أبعادا جديدة إلى المألوف سايسيا فى هذا الصدد، ومثال ذلك أن يحاول الإجابة على أسئلة إضافية مثل:

- هل المفاوض يمثل "مرحلة" شعبية أم لا، وإلى أى درجة؟
- هل هو يمثل مستقبل شعبه أم لا، وإلى أى درجة؟
- هل هو يمثل وجدان شعبه أم لا، وإلى أى درجة؟

هذا بالإضافة إلى السؤال الشكلى الأول:

- هل هو يمثل أصوات شعبه أم لا...؟

ويمكن البحث عن تقويم وسائل الرجوع الى من يمثلهم أثناء المفاوضات ومدى جدية ذلك ... الخ.

1- الظهور أمامهم (الإسرائيليين) وأما احتياطيهم (الأمريكيين) بمظهر علمى مناسب يقول "نحن لسنا بلدا متخلفا الى درجة التى تطمئنكم، وعندنا أيضا لغة علمية، ونستطيع أن نتبادل الحوار على أى مستوى معاصر".

وأنتم وزملاؤكم أقدر من تبلغون هذه الرسالة بتوفيق الله.

2- إثبات أن صانعى القرار من ساستنا ليسوا وحدهم فى صوابهم وخطئهم، وأننا كعلماء نتفق معهم ويختلف، ولو ثبت أن الخطأ فى جانبهم فسوف يعودون للصواب بفضل إصرارنا ووعينا ومثابرتنا كعينة متخصصة محدودة من قوى الشعب وإن ثبت إن الصواب فى جانبهم فسيجدون الدعم العلمى المناسب دون أن يضطروا لاستيراده منكم فى كل آن.

3- ترجمة إشارة رئيس الدولة إلى أن الصراع العربى الإسرائيلى أغلبه (90% مثلا...) هو لأسباب نفسية، ذلك القول الذى أعتقد أنه بداية فكرة حلقة البحث هذه، ترجمته إلى حجمه العلمى الموضوعى حتى لا تتضاءل مجواره المشاكل الواقعية الأخرى، وحتى لا يؤخذ هذا القول لصالح جانب دون الآخر وحتى لا نبالغ فى مغزاه، فإن قوله ليس مطلقا، ولكن لابد فى حسابات تقويمه أن نضع توقعيته وشجاعة قائلة فى حينه، لا أكثر ولا أقل.

رابعا: إن ما يمكن أتقدم به من وجهة نظر فردية سوف يقتصر على عينة محدودة على سبيل المثال لا الحصر يمكن إنجازها فيما يلى:

1- اللغة:

المفاوضات حوار أساسا، والحوار الإنسانى يستعمل اللغة اللفظية غالبا، واللغة كما تقول العلوم النفسية وغيرها هى أسلوب للتواصل يستعمل للرمز، وحتى تصبح اللغة ذات كفاءة حقيقية لابد أن يكون مضمون الرمز (وليس فقط دلالاته) متفق عليه بين المتحاورين (المتفاوضين) وعراجعة بعض الألفاظ التى تستعمل فى مثل هذه المفاوضات قد نلاحظ أنها قد تعجز عن القيام بهذه الوظيفة بالكفاءة التى تضمن عمق المفاوضات وجدواها، ومن واجب العلماء النفسيين أن ينبهوا لذلك حتى لا يكون الحوار أقرب الى حوار الصم Dialogue des sourds، ومن أمثلة ذلك:

(1) إذا استعمل تعبير "الموافقة بالإجماع" نقلا لرأى مؤسسة شعبية، فقد يعنى مثل هذا التعبير نوعا من اليقين المدعم عند مفاوض مصرى، فى حين أن نفس التعبير قد يعنى نوعا من الشك والتوجس، وربما الإستهانة عند المفاوض الإسرائيلى.

(2) إذا إستعمل لفظ "الديمقراطية" فقد يعنى الإسرائيلى حرية أغلبية اليهود فى استيطان الأرض العربية، فى حين أنه قد يعنى عند المفاوض المصرى مثلا أن تكون الصحافة سلطة رابعة، وأن تكون المعارضة مسئولة جدا، ومتفهمة جدا جدا ... الخ.

ببعد نظر متواضع أن يدرك كيف أن الحواجز بين الأوطان والعقائد والمذاهب ليست سوى مرحلة مضروبة إن آجلا أو عاجلا، وأنها سرعان ما ستلاشى رضينا أم لم نرض، فلا بد أن ذلك سوف يتعكس على فعله "الآن" بما في ذلك دوره كمفاوض.

ولكن علينا أن نتذكر أن هذه المقولة البديهية التي يعرفها العلماء إذا ما استعملت بواسطة السياسيين المحترفين من جانب واحد دون الآخر، فإنها قد تصبح عائقا مхла ومناورة مضلة، ففي حين يتنازل أحد الجانبين عن حقوقه لصالح مستقبل الإنسان عالميا...، يتمسك الآخر بتعصبه لصالح أو هام (أو حتى حقيقة) سبقه الحضارى العنصرى [7].

ويمكن في إطار هذا العمق المستقبلى التوصية من موقع علمى بالتالى:

"أن يكون التفاوض "الوطني" على مستوى خطوات الإنسان العالمية نحو إزالة الحواجز" وأن يسرى ذلك على قدم المساواة بوعى الجانبين معا".

6- تقريب المسافة بين الشعارات وحقيقة الموقف الإيديولوجي:

لعله من الصعب تحقيق التقارب الكافي بين متفاوضين يمثل أحدهم دولة تقوم على فكرة دينية وإيديولوجية عنصرية (ظاهرة أو خفية) ودولة أخرى تعلن التزاما حضاريا بلا حدود برغم ضعف إمكانياتها الحالية، وعلى ذلك وحتى تكون المسيرة واقعية، فعلى العلماء البحث عن الوسائل التي يمكن أن تساهم في الإقلال من زعم العنصرية المتميزة من جانب، وكذلك تقليل من الغلواء الحضارية المثالية من جانب آخر.

7- احتياجات "الآن" أم أسانيد "التراث":

إن التفاوض إنما ينجح حين ينبئ على حسابات الواقع ورؤية المستقبل، أما إذا تداخلت فيه عوامل سلفية ثابتة كأساس مسبق، فإن العدل يوصى بأن يستمع لنفس المنطق على الناحيتين، فلا يمكن علميا أن نعطي حقا لطرف ما أن يتفاوض مستندا إلى ما جاء في كتابه المقدس ثم لا نعطي نفس الحق للطرف الآخر بالنسبة لكتابه المقدس، وهنا نستطيع التنبؤ بأن المفاوضات ستقلب من محاولة الإتفاق حول الجلاء عن أرض ماء، وتنفيذ قانون دولى بذاته، إلى لجنة في علم الأديان المقارنة وتحقيق التراث لمعرفة السند الأصح لأى كتاب مقدس منهما، أو لمعرفة ما إذا كان الدين التالى قد صدر فعلا بقرار إلهى لاحق، أو أن الدين السابق قد "سقط بالتقادم" .. الخ .. الخ .. وتستمر هذه المجادلات إلى ما لا نهاية لتخرج بالتفاوض من فعل هادف إلى "دفاعات عصابية" لا أكثر ولا أقل.

وتعميما لهذا المنطق فلا بد أن تبني المفاوضات على أسس متساوية، فإذا رضيت دولة ما أن تصر على أن أساس قيامها هو إيديولوجية دينية فعليها أن تتحمل ثمن مواجهة

وللإجابة على هذه الأسئلة ينبغي أن يتخطى العلم أرقام الاستفتاءات وصور المظاهرات إلى حسابات درجة تطور الشعب الممثل، ومدى رسوخ القيم الديمقراطية فيه (ممارسة لا إعلانا)، وحقيقة احتياجات الناس ومدى وفاء ممثليه بها، ودرجة الإستقرار ومعناه وتوقع استمراره إلى أى مدى، ومقدار تحمل المعارضة، وقبول الاختلاف مع الاستمرار في العمل المنتج واحتمال التناقض دون ربكة واستقطاب، إلى آخر هذه العوامل ذات الدلالة التي تخرج عن نطاق مجرد إعلان الأغلبية الديمقراطية الرسمية، هذا بالإضافة إلى أخذ منطق المفاوضات الداخلى مع نفسه في الإعتبار، الأمر الذى ينعكس على مدى تماسكه، واستعابه الشخصى لمنطق شعبه ومنطق العصر، وتمثله لاحتياجاته .. الخ.

ويمكن طرح توصية في هذا السبيل تقول:

"كلما كان المفاوض ممثلا لمن يتفاوض باسمه، و متماسك المنطق في ذاته، كان احتمال نجاح المفاوضات أكبر، والاعتماد على نتائجها أضمن.

3- تناسب "كلمة" المفاوض مع "فعل" الواقع:

بديهى أن المفاوضات ليست فعلا لذاته (وإن كانت فعلا في ذاته) وإنما هى تخطيط لفعل واقعى نتيجة اتفاق على وسيلة تحقيقه، والتناقض بين الكلمة على المائدة والفعل على أرض الواقع لا بد وأن يضيف صعوبات بلا حدود إلى المفاوضات الجارية أو التالية.

ومن واجب العلماء المجتمعين أن يؤكدوا على خطورة مثل هذا التناقض في التأثير على الثقة بين المتفاوضين من ناحية، وعلى الثقة بين المفاوض ومن يمثله من ناحية أخرى.

4- التحذير من التفاوض في البديهيات:

لا شك أن مبدأ "كل شئ قابل للتفاوض" هو مبدأ يدل على المرونة وسعة الصدر .. ولكن لا أظن أنه يشمل مثلا للتفاوض في أن اللغة العربية حية ومفيدة أو ان الإنسان المصرى يتمتع بصفات الإنسان الناطق العصرى (من حيث التفكير والوعى والتوريط والقدرة على الإبتسام بلا مبرر .. الخ) وأعنى بذلك أن العلماء أدرى الناس بأن التعرض للبديهيات بالتفاوض يقل من فرص نجاح المفاوضات بالنسبة للمشاكل الحقيقية القابلة للنقاش، لأنه يشكك في جدية المتفاوضين وحقيقة الفرص المتكافئة.

5- التعصب ولغة لعصر:

لا شك أن الانسان المعاصر يعيش فترة خطيرة من مراحل تطوره في مواجهة ثورة التوصيل أو المواصلات، ودون تفصيل نقول، إنه إذا رأى كل صاحب بيت أو ساكن أرض أو معتنق مذهب مستقبل الإنسان المعاصر (أى مستقبل نفسه وأهله) من منظور علمى وبوعى كاف، فاستطاع

المناورات العلمية السياسية المثيرة، لأنى أثق فى أهلى وحقى وزملائى، وأعتقد أن أى انسحاب هو تقلييل من فرص المواجهة بما تحمل من مخاطر وآلام وآمال فى آن واحد.

وإنى إذ أتمنى لأعضاء الوفد الكرام التوفيق فى مهمتهم الغالية بما يرفع رؤوسنا، ويظهر حقنا ويشرف تخلصنا، أدعو الله جلت قدرته لمصرنا أوسع الفرص وأكرم الحياة.

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

د. يحيى الرخاوى

مواطن مصرى

وأستاذ الطب النفسى. جامعة القاهرة

ملحوظة: كتبت هذه المذكرة باللغة العربية فخرا بلغتى وعلى من يريدها بلغة أخرى أن يتحمل عبء ترجمتها.

مرفق طيه عدة صور أرجو أن تصل إلى الزملاء مشكورين كما أرجو أن تحولوا نسخة للجنة العلمية لجمعيتنا الموقرة على زعم أن هذا موضوع علمى.

(انتهت المذكرة بجروفها).

وبعد

فهذا مجرد مثال لخطورة الخدعة حين تتضخم لتمس مصير شعب وأرض، وهو تحذير من إعطاء علم متواضع مجتهد أى حق فى الوصاية على ممارسة أعمق وأكبر، لحساب جانب من جوانب السلطة المتصارعة.

وإذا كان رجال الدين قد أساء استخدامهم لصالح السلطة حقبة من زمان (فى القرون الوسطى فى أوروبا كمثل) فأساؤواهم بدورهم استخدام السلطة حقبة أخرى من الزمان، فالأولى برجال العلم أن يتيقظوا كل اليقظة حتى لا تتكرر المأساة بالنسبة لهم، علما بأن العلم باعتباره هذا الإله الجديد هو أعجز وأخطر من إله كهنة القرون الوسطى بلا جدال، ولست فى مكان أقترح فيه حلا لسوء استعمال على هذا المستوى العام لأنها قضية خطيرة ومتشعبة وغير قاصرة على فرعا، بل لعلها تحدد أكثر وأكثر فى مجالات العلوم التى تساهم فى اختراع وتطوير آلات التدمير والتجسس!!

وكل ما أملك فى هذه المرحلة هو بعض التوصيات فى شكل آمال أكثر مما هى فى شكل احتمال:

1- لا بد أن نهتم بطرق بطرق تنشئة خلقية متعلقة بالقيم الانسانية وأن يعتبر ذلك جزءا لا يتجزأ من مقومات دخوله المعمل أو مكتبة البحث لضمان أمانته العلمية المتصلة أوثق اتصال بتطوره العملى لمثل هذا الاقتراح هو إضافة "مقرر" تافه فى علم النفس للكليات العملية، أو فى علم الأخلاق للكليات جميعا يحفظ وينسى، بل إنى أعنى طريقة التربية وتنمية الالتزام الانسانى وإطلاق سراح الفكر من الأحكام المسبقة، ويبدأ هذا مبكرا منذ الطفولة ثم يتركز خاصة بعد المرحلة الجامعية الأولية، وخاصة بالنسبة لمن سيواصلون مسئولية التصدى لأمانة حمل كلمة العلم، ويتضمن ذلك عدم الاعتماد الكامل على الخطوط الخارجية لقانون وضعى، وإنما يهدف إلى تنمية جادة وعميقة للقانون الداخلى أساسا وباستمرار.

إيديولوجية دينية مجم الدين المخالف - إن آجلا أو عاجلا - وليس مجم المفاوضات الحالية، ولعل المضاعفات التى تحدث مرحليا فى إيزران مثلا هى نتيجة لهذه النكسة الناجمة من إقامة الدولة على أساس دينى بما يتبع ذلك من ازدواج الولاء، ثم انعدام منطق الحاضر والمستقبل لصالح حسابات تفسيرات التراث السلفية، وأخيرا التهديد مجروب صليبية ذرية لا محالة.

8- التحليل التركيبى والتفاعلاتى Transactional & Structural analysis

وأخيرا إذا كان للطب النفسى (أو لعلم النفس أو علم الشخصية) أن يعمق الحوار بين المتفاوضين، فإنه يمكن أن يقوم بتحليل عينات من الحوار اللفظى الدائر والمسجل بطريقة علمية، حتى يتنقل من السطح اللفظى إلى التحليل التركيبى Structural analysis مثلا كنموذج مساعد يتخطى مناورات الحوار الكلامى إلى أعماق رؤية احتياجات المفاوض الوالدية والطفلية .. الخ كشخص فى ذاته، وكممثل لشعبه، ويمكن أن تحلل العلاقة مزدوجة الوثائق Double-Bind بنفس العمق وأكثر.

ولعل خير ما أنهى به هذه الآراء العابرة هو أن أذكر السادة المؤتمرين أن حدس شعبنا التلقائى قد لخص هذه "العلاقة المزدوجة الوثائق" فى مثل عامى تقوله الحماة لزوجة أبنا على "بوابة المتولى" Mitwally - gate (وليس بوابة الماء - ووترجيت) إذ تقول لها وهى تعزم عليها بالعيش "صحيح ما تكسرى .. ومكسور ما تاكلى.. وكلى يا بنتى لما تشبعى" فإذا تمادينا فى الفكاهة الولة لكان واجبنا علينا أن نحذر من منطق مواز معطل بالضرورة [8].

وبعد

فقد قدمت كل هذه النقاط الموجزة وأنا على يقين واضح من أن تدخل علم النفس والطب النفسى بهذه الصورة فى السياسة هو أمر محوط بالمخاطر وينبغى تناوله مجذر إلى أكبر درجة وذلك ما يلى:

أولا: إن هذه العلوم النفسية هى علوم حديثة، وما زالت فى قسم كبير منها اجتهادية فرضية، رغم ما يحيط بها من غلواء، فى حين أن السياسة ممارسة أخطر وأعمق، وهى فى ذاتها علم قائم بنفسه، تقوم نتائجه اختبارات الزمن، ولذلك فإنى أؤكد أنى ما كتبت ما تقدم من منطلق علمى متخصص، بل من منطلق مواطن عادى مجتهد.

ثانيا: إن تأثير هذا التداخل والخلط بين ما هو علم وما هو سياسية، يرجح الميزان الجانب الأقوى والأحقق، مما يجعل المناورة غير متكافئة ويزيد من ثقل الحرج الأخلاقى.

وبعد كل هذا، ورغم كل هذا، فإنى من أشد الموافقين على الإسهام الفعال فى مثل هذه

وما يصاحب هذه المخالفة من إبداع خلاق...
اكتملت الصورة وتأكدت الصفة مهما اختلفنا
حولها.

[6] 6 - فضل الزملاء الذين تولوا القيام بهذه المهمة الشريفة الصعبة أن يعزفوا عن نشر ما يتعلق بها لفترة ماء واحتراما لما رأوه لائقا مرحليا رفعت كل ما يشير إلى شخوصهم شاكرًا لهم أن جعلوا الأمر بهذه الصورة أقرب إلى القضية العامة الموضوعية منه إلى مناقشة حدث بذاته.

[7] 7 - النموذج الواضح لمثل هذه المناورة من تاريخنا العربي والإسلامي هو لعبة التحكيم في مفاوضات عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري.

ويمكن أيضا الرجوع إلى خطاب الرئيس المصري في الكنيست ورد السيد مناحيم بيغن عليه، ودراسة فرق الروح وقياس مدى النقل الحضاري، والمسئولية العالمية في خطاب الرئيس المصري، في مقابل الزهر العسكري والخيلاء العنصرية لدى خصمه، ويمكن أن يتم ذلك بواسطة دراسة المحتوى وتحليله Content analysis من دراسين محايدين، وتكون العينة هي كلمات الخطابين وكذلك تسجيلاتهما السمعية والبصرية.

[8] 8 - للأمانة حذقت جملة واحدة من هذا الموضوع كانت قاسية السخرية ووضعت بدلا منها 'معطل بالضرورة'.

[9] 9 - وربما تحقق بذلك قول أبو الأسود: ليس شئ أعز من العلم: الملوك حكام على الناس والعماء حكام على الملوك (الإحياء الكتاب الأول ص 13)

2- لنا أن نأمل على المدى الطويل أن يصبح للعلماء بهذه الموصفات من كل جنس ولون قوة مستقلة ضاغطة على الحكومات [9] موازية للسلطة السياسية العالمية والوطنية وليست بديلا عنها.

3- إلى أن يتم ذلك لابد وأن نحذر الفتاوى المطلقة، والألاعيب المنمقة، وإلا فالخطر كل الخطر سوف يرتد إلى العلم والناس على حد سواء، ولعل التدهور الذي أصاب الدين وقلبه من علاقة نمو ببناء متجهة إلى التكمال، إلى علاقة طوقسية كهنوتية تابعة لأوصياء حاملي مفاتيح الرحمة والجنان، لعل ذلك يرجع جزئيا إلى مثل ما نحذر منه العلماء حاليا، وبتركيز مضاعف.

مراجع النص

- [1] 1 - هذا البعد من المسألة خطير وخفي لدرجة يحتاج معها إلى بحث مستقل عن علاقة ذات العالم وطبقته وإيديولوجيته بنظريته ورؤيته ومناطق بحثه.
- [2] 2 - مثل منظمة علماء النفس الأمريكيين من أجل النضال الإجتماعي.
- [3] 3 - يمثل مصر في هذه اللجنة الأستاذ الدكتور عمر شاهين وستنقد اللجنة في لندن في وقت قريب هذا العام.
- [4] 4 - وخاصة إذا خلطنا عامدين أو متغافلين بين ما هو يهودي وما هو إسرائيلي
- [5] 5 - القياس الحقيقي للشجاعة هنا هو القدرة على اتخاذ قرار يقتنع به الفرد ويتحمل مسئوليته مخالفا للسائد (حتى الإجماع) في حينه، فإذا أضيف بعدى الإستيعاب الحدسي لموقف عصره،

Arabpsynet Psychiatrists



Arabic Edition

<http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Ists.Ar.asp>

English Edition

<http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Ists.asp>

French Edition

<http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Ists.Fr.asp>

Arabpsynet Psychologists



Arabic Edition

<http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.Ar.asp>

English Edition

<http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.asp>

French Edition

<http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.Fr.asp>

ومضات فكرية

كلمات على متن رسالة الأستاذ الرخاوي

تعقيب على مقالة " سوء إستعمال العلوم النفسية" للأستاذ الرخاوي

د. صادق السامرائي - الطب النفسي، أمريك / العراق

alrahwan@yahoo.com

الزملاء الأعزاء

تقديري ومحبي

هذه كلمات من وحي التفاعل الإنساني النبيل مع الأستاذ الرخاوي،
أنثرها على متن رسالته الثرية بالأفكار الرامية للإمساك بجوهر كنه
المعجزة، التي انطلقت بأحسن تقويم ساعية فوق أديم البطحاء السرمدية
الدوران بتقدير وحسبان.

تقبلوا خالص المودة والإحترام

هذا هو جوهر العلة الحضارية التي أوجدت عللا نداويها بعلل.
فأمتنا أمة حضارية عالمية أعجزناها عن العمل بما تعلم.

ولذلك نميل إلى الهروب من الواقع بنكرانه وتسويغه والبحث
عن موضوعات لا تمت بصلة إليه، فنحن في معظم ما نقوم به
لا نتصدى للواقع، بما فيه من مشاكل تستدعي حلا، وإنما نغادره
إلى واقع آخر يعيش فينا ولا يعرفه واقعا.

وهذا السلوك السلبي يكاد يتجسد في جميع أروقة الحياة
وأنظمتها السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

حوار يتناقص أم ينقـرض؟

الحوار سلوك إجتماعي حضاري ترعاه المجتمعات المتقدمة
التي تؤمن بالإنسان وبقدراته ودوره الفعال في النماء والرقاء،
وعندما يفقد الإنسان قيمته، يضيع الحوار وينتفي دوره في البناء
وإنضاج الأفكار الحيوية اللازمة لغد أفضل.

التحاور حالة غريبة عن سلوك أبناء الأمة، ولا توجد في
تاريخنا المعاصر حوارات ثقافية تعطي المثل الإيجابي النافع
لجدوى الحوار ما بين أبناء الأمة.

ذلك أن النظام السلوكي الذي خيم على مسيرة الأجيال هو نظام
أبوي فردي إستبدادي، تمثل في أسمى صورته بأنظمتنا السياسية
على مدى القرن العشرين. ولهذا فلا زلنا نتهيب من الحوار
ونحسبه نوع من التعادي أو العدوان، كما أننا بعيدين عن وعي
ثقافة الإختلاف ودورها وضرورتها في بناء الحضارة وإطلاق
الأفكار الفعالة اللازمة للقوة والنماء.

وما يراه الغربيون عنا، ينبع من ذلك، فيحسبون أن الإستبداد
حالة قائمة في أعماق السلوك الفردي العربي، وأن المجتمع
يصنع مستبدية وطغاته، فهلا أثبتنا لهم العكس؟

فما رأينا مثلا واحدا لحوارات حضارية في إجتماعات القمم
العربية، وإنما خطابات أبوية يأبأها الصدى، وهذا يعكس
بوضوح حقيقة معضلتنا.

كلمات على متن رسالة الأستاذ الرخاوي

أمة الأثوار

كلماتك تبعث الأمل والرجاء، وتعلن أن القوة في الحوار، وأن
الأمة تمر بأدوار.

فما عجزت ولا خابت ولا انهزمت أو إنكسرت، وإنما كمنت
واختمت ونضجت، فأطلقت ما فيها، نبضا إنسانيا حضاريا
ثوريا أصيلا.

وشعشت أنوار دورها الجديد من تونس الرائدة وتألفت في
مصر الباسلة.

ولا زالت الأيام واعدة، والأفاق تشتاق لمزيد من التوجه
والسطوع العربي الفياض.

مقالتك

أمامي على مكنتي، وقد قرأتها، وأجبت عليها بتركيز وتكثيف
لأنها تعالج موضوعا حصل قبل عقود، واجترأت منها فكرة
سوء إستعمال العلوم. وسأتواصل معها ثانية بأسلوب آخر،
ويودي أن أتفاعل مع دفق الأفكار المنيرة التي تتناولها في
كتابك المشرقة، التي تأخذني نحو الأعماق البعيد.

حواراتنا تمنحني شعورا دافئا بعروبتي، وتؤكد في أعماقي
الإحساس الصادق بالإنتماء، وتؤكد أن الأمة بخير ما دامت
عقولها تتفاعل.

هذه الحوارات تستحضر الأفكار الأصيلة اللازمة لصيرورة
فاضلة راشدة تأخذنا إلى مدارات التحقق الواعي المعاصر.

نقرأ أو لا نقرأ

عندما نقرأ نتعلم، وعندما نتعلم نعلم، وحالما نعلم نقف إزاء محنة
حضارية عنوانها كيف نعمل بما نعلم، ومعضلة وجودنا نكمن
في التخاصم ما بين العلم والعمل.

ذلك أننا لانملك مهارات الحوار وقدرات وضع الفكرة في كلمات.
ونتعامل بعقل منفعل لا فاعل.

فقد برزت الإنفعالات وعجزت الكلمات عن التعبير عن الأفكار.
وهذا سلوك يوحى بأننا لسنا على مايرام، وفقا للذي يرانا بعقله
ومنظار تفكيره.

وهذا معوق سلوكي وبائي مستوطن في مجتمعنا ويصيب الجميع
بأضرار مزمنة.

تعقيب على مقالة " سوء استعمال العلوم النفسية" للأستاذ الرخاوي

أصل الحكاية

المصالح تقتضي

والنظ يقتضي

والأمن الأمن

وما أدراك ما يعنيه

ويرمي إليه

ثلاثية الحكاية

التي ما كتب عنها نجيب محفوظ

الصدقة

ما نسميه صدقة في عرفهم سداجة

فالمصلحة دستور السلوك

وعقيدة الحوار

والغاب هو القانون الأصدق

اللغة

علامتنا المميزة الفارقة

وهويتنا وجوهر وجودنا

ووعاء مسيرتنا الساطعة

ولكي ننطفيئ

صادر لغتنا

اللغة عروبة وحضارة وإسلام وفرقان

وآلة إنسان

ولهذا فهي الهدف المطلوب

وربما سيلبسونها صفة تحل وأدها

وسجنها في غياهب النسيان!؟

التمثيل

أن تجيد مهارات الأخذ

وخداع العطاء

فقد أخذوا وأخذوا

وما وضعنا على موائدنا إلا السراب

فكيف خدعونا بالعطاء

وقد أخذوا منا كل شيء؟

فهل نحن أمة تعادي الحوار، وتجنح إلى العمل بفكرة " وما
اجتمعت بأدوار فحول" وتتادي " سبق السيف العذل"، فالرأي
عندنا يقترن بالسيف، ومعارضة الرأي تعني القتال والمنزلة
الدامية.

كيف نفكر؟

ما ألاحظه في المجتمع الغربي، أن تربية الأجيال ذات آليات
مبصرة معاصرة ومتجددة. ويتركز الإهتمام على تعلم كيفيات
صب الأفكار في كلمات، فالكلمة لا بد لها أن تكون ذات إسهام
واضح في صياغة الفكرة والعبارة.

وتجدهم يركزون على كيف تفكر وتكون مؤهلا لتصنيع الفكرة
وتحويلها إلى مشروع مؤثر في مسيرة الحياة.

وكذلك كيف تقراء، وتداول وتتفاعل مع الاختلاف وتستثمر
طاقاته للبناء والتقدم.

فلا يوجد كلام مبهم.

وفي مجتمعنا نميل إلى عدم الوضوح، وقد هيمنت على تفكيرنا
آلية " المعنى في قلب الشاعر"، والتي أراها تصف عجزنا التام
على وضع الأفكار في كلمات، فالشعر له دور في بناء تصورنا
وتفكيرنا، والشعر الجيد، حسب ما نراه، هو الذي لا يعرف
مقاصده إلا كاتبه، والحقيقة المريرة، أن كاتبه قد عجز عن وضع
أفكاره في كلماته، فأشاع الوهم بأن ما يكتبه فن بمواصفات رمزية
وتعابير بلاغية عصبية على الوضوح السهل، وكم قصدت أن
أكتب نصوصا مباشرة ذات تعبير صريح عن الفكرة، فيغضب
منها النقاد ويحسبون ذلك إمعانا في المباشرة.

وكم قرأت شرحا أو نقدا لقصائد، فأرى المكتوب لا يتصل
بالقصيدة وإنما تخيلات وتوصيفات من وحي المعنى في قلب
الشاعر. وهذا إبداع إنحراقي وليس إبداعا صادقا خالصا أصيلا
يساهم في بناء عقل الأمة ووعي الأجيال، وإنما هو أداة تشويه
تفكير وتشويش ووعي.

فالمسافة شاسعة ما بين آليات تفكيرنا وآليات تفكير العالم المتقدم،
وهذه المسافة تنعكس في تداخيات التواصل ما بين العالمين.

لدي صديق صيني يمزح معي عندما يدور الحديث عن بلادي،
فيقول لي ضاحكا " إعطونا بلانكم لمدة خمسة أعوام فقط"،
وعندما زرت الصين أدركت أن صديقي على صواب!

ذات عام، كنت في لقاء ضم عدد من الأخصاصيين النفسيين
العرب والأمريكان، وبعد أن دار الحديث في موضوعات
متنوعة، صعقت بما قالته إحدى الزميلات الأمريكيات.

قالت " كأنكم أعداء بعضكم!!"

وأضافت " ولهذا لن تحققوا شيئا مهما"

وكنا في الإجتماع زملاء وأصدقاء، وما عندنا ما ذكرته، لكننا
من خلال أسلوب تفاعلنا أوحينا بذلك.

وعندما تأملت بواعث قولها، تبين لي أن طريقة الطرح والنقاش
كانت تؤكد ما ذهبت إليه، بما لا يقبل الشك للعقل الآخر، بأننا
أعداء أو لا نعرف كيف نتفق ونستثمر في المشتركات، ونميل
إلى تعزيز مسوغات العجز والإفتراق.

التفاوض

كلمة خرافية تمكنت من وعي الأمة
فكيف لمن لا يملك مصيره أن يتفاوض
وكيف لأمة بلا شعب أن تتفاوض أمة بشعب؟
الأمة وضعت في زلزلة أفراد
يستعينون بالآخرين على الشعب
فما معنى التفاوض في صندوق غياب؟!

التحذير

الأمة لا ينفعها التحذير
لأنها لا تقرأ
ولا تسمع إلا ما تفهمه
وما تفهمه هو ثقافة الآخر
وبهذا فأنها تسمعه وتطرب له
وتندب ابنها الذي يصرخ فيها ويناديها
فكيف تحذر إنسانا منوما
في صالة عمليات الإفراس الحضاري المريح
والممتع حتى الإدمان؟

التعصب

هل تعصبنا لعروبتنا وديننا وأمتنا
ومصالحنا الوطنية والإنسانية
هل تعصبنا لوجودنا وحقوقنا وكرامتنا
هل تعصبنا للتكافل والتراحم والتفاعل
والألفة والأخوة والمعروف
هل تعصبنا للزراعة والصناعة والبناء؟
لقد تعاصبنا وما تعصبنا أبدا
وتغاضبنا وما غضبنا يوما
فأين الضمير الحي الرهيف؟
التعصب سلوك إيجابي بقائي
عندما نعي منافعه ونتوقى من أضراره!

شعارات

هل توجد أمة رفعت شعارات أكثر منا
أعظم إنجازاتنا شعاراتنا
وما حققنا إلا ما يناقضها تماما
فاسأل الوحدة والحرية
إذا كنت في شك ووطن

الآن... الآن

الآن عدونا
فالماضي هو رفيقنا
وما أثقله
وما أقساه
لأننا أمعنا في جهله
وأصبحنا غرباء عنه
لكننا ندعيه
وما حققنا إلا ما يعاديه

الحوار معهم

مغامرة خطيرة يربحونها دوما
فما يعرفونه يفوق ما نعرفه
فالمعرفة سلاح أمضى من أي سلاح
وأسس وآليات الحوار التي يدركونها
لا زالت في رفوف ما لا نعلم ولا ندري
وما علينا إلا أن نبتكر أدواتنا
والآلتنا الحوارية التي تحقق مصالحنا
فالعقل العربي غير العقل الغربي
وما نراه لا يمكنهم رؤيته
وما يرونه يصعب علينا استجلاءه
يحاوروننا بترساة عقول نابهة جامعة
ونحاورهم بعقل فريد
يحمل شارة الأمية وسيف أدري!

أتشكونني

فتقديرى وإعجابى وحبى
وإن سكنت فقد هتفت بقلبي
وشكرا حينما عتبّ أتاني
أنتيك واعداء وبها ألبى
سأبقى في حوارات تنامت
بأفكار جلت نظر المرابي
جمال الترك تشكوني إليه
سأشكو منك إن فترت وربى!

وإن العقل في نفس تماهى

أمن عجب ومن غضب ولسب
أنت ربنا وكم جرحت بغضب
نفوس ذات إعمار وورع
هي الأيام في حذر ورعب
فمرحى كلما كتبت يراع
ألا جادت بإبداع كصيب
مواجنا من الجهل استفاقت
ألا تبّت بما فعلت بشعبي
هي النفس التي فيها أسانا
فهل برعت بتوجيه وطب
وإن العقل في نفس تماهى
إذا رغبت بدا عبدا يلبى
وأمره بسوء بعد سوء
إذا ضبحت دحت شرقا بغرب
فهل بقيت مساجرها أجيحا
فما انطفأت، كما جنحت لغيب
كفى أدبا وتأديبا ونهرا
رأيت لهيبها نهجا لعطب
معلتي بسوء كيف أنجو
فذا طين أتى طينا كذنب
وما عسرت على طين مناه
رموز الطين ما بعت كصحب
فقل نفسا وما ندري هواها
وعاء سلوكها يبدو كجيب

أثريها بما خشيت وهابت
 فذا فزع على فزع وأهيب
 حلاوتها إذا بصير التجلي
 ستغدو من جحيماات وصعب
 وما جهل وما علم سيبقى
 معاشرها كأغصان بخصب
 إذا جاء الربيع زهت ومالت
 وأعطت ما بحوزتها لعصب
 وإن حلّ الخريف بها استغاثت
 وراحت تشكي فقدا لثوب
 فهل نكرت وما ذكرت ترابا
 وهل سألت , عن الفحوى لحرب
 ألا هبطت إليك وما تدانت
 وإن كشفت بها وجهها نُخيي
 فحاور رأس صلصال مكين
 وجالس طينة رهنت بنكب
 إذا تدري بما كسبت نفوس
 فدعها تنتشي والله حسبي

فغامر في متاهات تتاعت
 كأكوان توصلها بتقب
 ومن سوى بمعجزة طواها
 بكاف ذات نونات وحجب
 تعالى خالق وسمى بعرش
 وذا المخلوق في صدع ورأب
 وما نفس إذا جهرت بنفس
 ولكن طبعها أبدا لترب
 فخاصم نهجها وادعو سواها
 وجافيتها إذا جنحت لكذب
 تخادعنا بنا , والعيب فينا
 وكم رقت لنا عيبا بعيب
 دليل نفوسنا وهم أصيل
 ومحجوب بأطيان ولجب
 فلا تكشف غطاء دام حقا
 ولاتسعى إلى جزر وقطب
 ودعنا في مشاربها نعاني
 كأننا من ثمالتها بركب

Search To APN Database

Search Books

<http://www.arabpsynet.com/book/default.asp>

[Books Form](#)

www.arabpsynet.com/book/booForm.htm

Search Papers

<http://www.arabpsynet.com/paper/default.asp>

[Papers Form](#)

www.arabpsynet.com/paper/PapForm.htm

Search Books

<http://www.arabpsynet.com/book/default.asp>

[Books Form](#)

www.arabpsynet.com/book/booForm.htm

Search Thesis

<http://www.arabpsynet.com/These/default.asp>

[Thesis Form](#)

www.arabpsynet.com/these/ThesForm.htm

Search To APN Database

Search Arab Psychiatrist

<http://www.arabpsynet.com/CV/default.asp>

Search Arab Psychologist

<http://www.arabpsynet.com/CV/defaultPsychologists.asp>

[CV Form](#)

www.arabpsynet.com/cv/CV.HTM

علاقة الدين بالطب النفس

(دور الروحانيين في معالجة الاضطرابات النفسية والعقلية)

أ.د. قاسم العواد - رئيس الجمعية العراقية للطب النفسي - العراق

dr_alawadi@yahoo.com

الأول: المنظور الديني - الروحاني Religious, Spiritual

يمكن تلخيص العوامل الروحانية (الغيبية) لاصابه بالاضطرابات النفسية والعقلية بثلاثة اسباب هي:

- 1- تأثير الجن (المس، التلبس).
- 2- تأثير السحر.
- 3- تأثير الحسد.

سأترك موضوع تأثير السحر والحسد الى محاضرة اخرى لاحقة، واتطرق الى موضوع الجن الذي يشغل بال الكثير منا.

تأثير المس (التلبس بالجن)

منذ بداية خلق الإنسان وبزوغ فجر الأديان عرف الإنسان انه ليس وحده على كوكب الأرض بل ان له قرين يعيش من حوله ويؤثر فيه هذا القرين هو معسكر الجن من ذرية ابليس الملعون فقد ورد في القرآن الكريم: ((ومن يعيشوا عن ذكر الرحمن نقبض له شيطاناً فهو قرين)) (سورة الزخرف - آية 36). جاء ذكر الجن في جميع الكتب السماوية، ففي القرآن الكريم مثلاً ذكرت كلمة الجن 22 مرة والجنة 10 مرات، الجان 7 مرات والشيطان 68 مرة قال الله تعالى ((يامعشر الجن والإنس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان)) (سورة الرحمن 33). والجن مخلوقات خلقها الله من نار (خلق الجان من مارج من نار)) (الرحمن 15) تعيش من حولنا ترانا ولا نراها قال الله سبحانه وتعالى: ((انه يراكم هو و قبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون)) (الأعراف 27) ويؤثرون بنا لكننا لانلمسهم ولا نتكلم معهم.

كيف يؤثرون بنا؟؟

حينما نتصفح كتاب الله والتفسير المعتمدة نستطيع ان نلخص تأثير الجن على الإنسان بما يلي:

1- **الإغواء:** وهو الاغراء اي تزيين المعاصي في نفوس البعض من الناس من اجل اضلالهم: قال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادةك منهم المخلصين)) (سورة ص 82- 83)

((قال ربي بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين)) (الحجر 39).

2- **التخويف:** هو إثارة الرعب في قلوب البعض من الناس عن طريق قيام الارواح الشريرة وهم الجن ببعض الحركات والافعال في الأماكن والبيوت المسكونة كفتح الابواب وغلقتها، اطفاء النور، كسر الاواني او اسقاطها واحداث اصوات غريبة لاختافة الناس كالذي نشاهده في الافلام.

حضرات الضيوف الكرام أحبيكم وأرحب بكم باسم جمعية الأطباء النفسانيين العراقيين و أشركم على تلبية الدعوة بالحضور في هذا المكان الجميل ..

لقد أختارنا لكم هذا اليوم موضوعاً طالما شغلكم جميعاً وأثر بالكثير منكم هذا الموضوع هو علاقة الدين بالطب النفسي الذي سنركز فيه على دور الروحانيين في معالجة الاضطرابات العقلية والنفسية.

إنني واثق بأن الكثير منكم يتوقع مني نقداً شديداً لجميع اساليب الروحانيين الضالعين في معالجة المصابين باضطرابات نفسية او عقلية وان اكون على نقبض تام مع ما يدعون اليه ويمارسونه على اعتبار انهم دجالون ومشعوذون يروجون الى اوهام غير موجودة اسمها المس أو (التلبس بالجن) إنطلاقاً من معرفتكم بخلفيتي العلمية كطبيب نفساني درس العلوم الطبية واطلع على نظرياتها المختلفة ومارس في عمله اليومي جميع انواع المعالجات السريرية.. المادية، التحليلية والسلوكية التي انبثقت من نظريات وملاحظات وتجارب علمية رصينة أقول لهم لا.. إنني سأتناول الموضوع من جوانبه الروحية بمنظور علمي أخذاً بالاعتبار ان الجانب الروحي لا يقل اهمية عن باقي الممارسات العلاجية مسترشداً بما جاء في الكتب السماوية من اشارات ودلالات للاسباب والمعالجات وبما جاء في كتب الطب التي ألفها العظماء من الأطباء العرب والمسلمين القدامى وغيرهم والممارسات العلاجية الروحانية التي استخدموها في معالجة الكثير من المصابين بالاضطرابات النفسية والعقلية.

إنني لا أبتعد كثيراً عن واقع نظرتي العلمانية للطب النفسي حينما أعتزف بأن للجانب الروحي صلة قوية بما ورد فيه وبخاصة على نطاق الأسباب والعلاج فالإيمان بالقيم والقدرات الروحية يعطي للإنسان راحة نفسية لا يجوز لأي كان حرمانه منها بحجة انها غيبية (ميتافيزيقية) وانها غير خاضعة للتجربة العلمية او الإختبار السريري.

إسمحوا لي ان اقول ان التطرف بهذا المنظور يعد خطأ كبيراً، فهل ان ما دعى اليه فرويد، أدلر، بافلوف واطسون، دارون، مايرز وغيرهم من علماء القرن الماضي من تطبيقات نظريه في مجالات الطب النفسي أصح من قول خالقهم عز وجل؟ ألم تثبت الدراسات والبحوث الحديثة ان استكشاف ما مذكور في الكتب السماوية من قيم وتوجهات روحية يمكن استخدامها في معالجة الكثير من الحالات النفسية وان الايمان يمكن ان يكون حافزاً أساسياً في ترويح النفس؟

في الكلام هذا اليوم يمكننا ان نتناول الموضوع من منظورات ثلاثة :

الأول: المنظور الديني - الروحاني Religious, Spiritual

الثاني: المنظور العلمي Scientific

الثالث: المنظور المختلط الروحي والعلمي : Spiritual & Scientific

((الذين يأكلون الربى لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه شيطان من المس)) (البقرة 275) ((وأذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب)) (ص 41).

3- **الصراع بين الخير والشر:** الصراع بين الخير المتمثل بالايان والشر المتمثل بالنزوات الشيطانية بالنفس اذ بدأ بثلاث أحداث في تاريخ البشرية أولها عندما أمر الله الملائكة ان يسجدوا لآدم الذي خلقه من طين فسجدوا كلهم الا ابليس استكبر وكان من الكافرين ((فسجدوا كلهم اجمعين)) الا ابليس استكبر وكان من الكافرين ✘ ولما سأله ربه قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين ✘ قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ✘ قال فخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين ✘ قال ربي فانظرنى الى يوم يبعثون ✘ قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ✘ قال فبعزتك لأغوينهم اجمعين ✘ الا عبادك منهم المخلصين ✘ قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك اجمعين)) (ص 73-85) ثانيهما عندما أغوى الشيطان أبونا آدم وزوجه حواء ان يأكلا من الشجرة التي امرها ربها ان لا يأكلا منها فأغصبا ربهما فأمرهما ان يهبطا هما والشيطان ويكونا بعضهما لبعض عدو الى يوم يبعثون ((يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)) (الأعراف 11) ((وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون)) (الأنعام 112) ((وقال ربك لا يصدنك الشيطان انه لكم عدو وما يفترون)) (الزخرف 62) ثالثهما هي قتل قابيل اخيه هابيل متأثرا بنزواته التي زينها له الشيطان ((لإن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لأقتلك اني اخاف الله رب العالمين ✘ اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ✘ فلوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ✘ فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يؤاري سوءة أخيه قال ياويلتنا أعجزت أن نكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين)) (المائدة 28-31) منذ ذلك التاريخ ناصب الشيطان الإنسان العداوة وأخذ يتحين الفرص ليزله عن الطريق القويم ويزين له شر أفعاله ليبعده عن طاعة الرحمن.

علاج الاضطرابات العقلية في التاريخ

تعود الجذور التاريخية لما نسميه اليوم بالصحة النفسية (الامراض النفسية والعلاج النفسي) الى الحضارات العالمية القديمة وبخاصة المصرية ايام الفراعنة والسومرية والبابلية في العراق والحضارات الصينية والهندية. كان الاعتقاد السائد انذ ان سبب الامراض النفسية والعقلية يعود الى تملك الانسان من قبل الارواح الشريرة او الجن كما ذكرت، بناء على ذلك كان المرضى يعانون الامرين من قساوة اساليب العلاج البدائية غير الانسانية كالعزل بعيدا عن الناس، الربط تحت الشمس، التكبيل بالسلاسل الرجم بالحجارة والجلد بالسياط او البصق عليهم لاجراج الجن او الشياطين من داخلهم او تجويعهم او حرقهم في الساحات العامة لتخليص الناس من شرهم، اما في مراحل نشوء الاديان فكان رجال الدين يأخذون المرضى الى المعابد ليخبروهم او يعزمون عليهم بقراءة التعاويذ أو كتابة التائم وغسلهم بالمنزل البارد الا ان السحرة والعرافون ظلوا يمارسون ابشع وسائل السحر والشعوذة لاعتقادهم ان باستطاعتهم معالجة ما يسمونهم في ذلك الوقت بالمجانين ومما يؤسف لهو ان البعض من تلك الاساليب مازال يمارس لحد الان بخاصة في المجتمعات الشرقية العربية والاسلامية والقليل من المجتمعات الغربية. ففي دراسة حديثة معدة للنشر لاحظت ان 70% من المرضى الذين راجعوني في عيادتي الخاصة من الجنسين ومن مختلف الثقافات والواقع

قال الله تعالى ((انما ذلك الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)) (آل عمران- 175) ((قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين)) (القصص- 15) ((وكان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا)) (الجن 6) ((ولو أستقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا. لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا)) (الجن 16-17)

4- **الوسوسة:** وهي حديث النفس نقول مثلا (بالمفهوم العلمي) وسوست له نفسه أو هو حديث الشيطان داخل النفس نقول (بالمفهوم الروحاني) وسوس له الشيطان وقد ذكرت بآيات كثيرة: ((وما أبرئ نفسي إن النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي ان الله غفور رحيم)) (يوسف 53) ((ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ✘ فوسوس لهما الشيطان ليبيدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين)) (الأعراف 26-27) ((قل أعوذ برب الناس ✘ ملك الناس ✘ إله الناس ✘ من شر الوسواس الخناس ✘ الذي يوسوس في صدور الناس ✘ من الجنة والناس)) (سورة الناس) يمكن تفسير هذه الآيات الكريمة من الناحية العلمية بان مايدور في اعماق النفس البشرية من دوافع غريزية فطرية شقية او عدوانية وصراعات بين اقسام النفس له تأثير كبير علىيها بخاصة حينما يتم كبجها بقوى الكبت المعروفة (العقل والعرف والضمير) مما يدفع الانسان للاستجابة بدافع الوسوسة او الاغواء بالاساليب او سلوكيات غير معقولة للتعبير عنها اي عن الغرائز فتظهر بصورة علنية مكشوفة لا تتفق مع التقاليد والأعراف والضمير فيصبح الإنسان شادا من الناحية النفسية في نظر محيطه. ولكي تقربها للفهم اكثر يمكن اعتبار الغرائز التي تحرك الانسان باطنيا هي الشيطان او منفذ الشيطان الذي اشارت له الآيات الكريمة.

5- **تزيين الأفعال الشريرة:** اي دفع الإنسان بالترغيب للقيام بعمل لا يتفق مع واقعه الايماني وتوافقه الاجتماعي وقد ورد في القرآن الكريم في عدة آيات ان الشيطان هو الذي يدفع الإنسان للقيام بتلك الأعمال، قال الله سبحانه وتعالى ((يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا)) (النساء 120) ((انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله والصلاة فهل انتم منتهون)) (المائدة 91) ((يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فأجتنبوه لعلمك تغفلون)) (المائدة 90) ((فلو لا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون)) (الأنعام 43) . ((ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين)) (الأنعام 142) ((ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد)) (الحج 3).

6- **الجنون، المس، التلبس:** وردت كلمة الجنون في جميع الكتب السماوية، قال الله سبحانه وتعالى ((كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون)) (الذاريات 52) ((أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون)) (الدخان 13 - 14) ((قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون)) (الشعراء 27) ((وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون)) (الحجر 6) و تشير الكلمة الى المس الذي ورد ذكره في الكثير من الآيات والذي يعني التشويش على قدرات الإنسان العقلية كالتفكير والإدراك بواسطة الوسوسة والاغواء وتزيين الأفعال الشريرة وليس التلبس الذي يعني دخول الجن بدن الانسان كما تفهم العامة من الناس . ان كلمة ليس الجن ببدن الانسان لم ترد في السنة ولا في القرآن، ان الذي ورد هو المس في قوله تعالى ((ان الذين أتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)) (الأعراف-201)

وفي اواخر القرن التاسع عشر زاد التقدم اكثر فقام كربلن (1856-1926م) بتصنيف الامراض النفسية والعقلية واستطاع وصف اعراضها وفي منعطف القرن العشرين ظهرت مدارس ونظريات علمية حديثة اهمها نظرية التحليل النفسي والعلاج النفسي التي تزعمها فرويد (1856-1939) والتي امكن الاستفادة منها في معالجة الامراض النفسية العصابية كالقلق والهستيريا ونظرية التعلم الشرطي التي تزعمها كل من بابلوف (1849-1936) وإسكندر (1928-1953) والتي نشأ عنها بعدئذ العلاج السلوكي الذي يهدف الى تعديل السلوك عن طريق ازالة السلوك الشاذ واحلال سلوك جديد عوضا عنه وخلال النصف الثاني من القرن العشرين اعطت الكثيرة من الدراسات نتائج ايجابية هائلة في مضمار التعرف على اسباب الامراض النفسية والعقلية البيولوجية والكيميائية والاجتماعية والتربوية والبيئية والروحية كما تطورت طرق العلاج النفسي تطورا هائلا واصبح بفضلها المرضى العقلين يعيشون حياة تقترب من الحياة الطبيعية وسط المجتمعات التي تغيرت نظرتها المتخلفة السابقة عن المرضى العقلين الى نظرة انسانية مساندة ومتفهمة تأخذ بيدهم كي يعيشوا بأمان وهدوء وتأهيلهم للعمل ضمن امكاناتهم المحدودة الجديدة.

الثالث: المنظور المختلط Spiritual & Scientific

هو منظورتوافقي يجمع بين المنظورين العلمي والروحاني برز في العقدين الاخيرين نتيجة للبحوث والدراسات الكثيرة التي قام بها العديد من الاطباء والنفسانيين والروحانيين على انفراد او بصورة مشتركة. في الماضي كان الجدل يجري على اشده بين المنظورين العلمي (المادي) الذي لا يقر الجوانب الروحية في الطب النفسي ويعتبرها نوع من التديجيل او انها غيبية غير قابلة للتطبيق الطبي السريري وبين المنظور الروحاني الذي يستند في ممارساته على الايمان بما جاء في الكتب السماوية (بعيدا عن الدجل والشعوذة) وبالقدرات الخارقة التي وهبها الخالق عز وجل للانسان. ونتيجة للملاحظات والجهود والابداعات الخلاقة التي قام بها باحثون من الطرفين في هذا المجال امكن ايجاد سبل علاجية جديدة تجمع وتوحد بين مختلف انواع العلاج النفسي والعلاج الروحاني فانشأت مراكز واقسام في اماكن عديدة من العالم لتدريب الكوادر (اطباء، علماء نفس، باحثين اجتماعيين وروحانيين) من الراغبين في ممارسة هذا الجهد المشترك من العلاج واهمها:

- 1- مركز البحوث النفسية الروحانية في البرازيل بادارة البروفسور الكسندر موريرا الميدا.
- 2- مركز البحوث الروحانية الكهنوتية الصحية في جامعة ديوك في درهم كارولينا الشمالية الولايات المتحدة بادارة البروفسور هارولد كوينك.
- 3- المؤسسة الهولندية للطب النفسي الروحاني بادارة البروفسور بيتر فراكن رئيس قسم الدين، الروحانية والطب النفسي في جمعية الاطباء العالمية WPA.
- 4- قسم البحوث الروحية الدينية والطب النفسي في جمعية الاطباء النفسانيين العالمية برئاسة البروفسور بيتر فراكن الذي تأسس سنة 2003. منذ ذلك الوقت شارك هذا القسم في عدة فعاليات ومؤتمرات وندوات في اماكن عديدة من العالم (امريكا، كندا، المملكة المتحدة، هولندا اسبانيا، سويسرا، المغرب والهند، كما شارك القسم ب 10 بحوث في المؤتمر العالمي للطب النفسي الذي عقد في الارجننتين في تشرين الثاني 2011 الذي تم فيه ايضا انتخاب اللجنة التنفيذية للقسم والاستشاريين من مختلف بلدان العالم.

الاجتماعي كانوا قد راجعوا معالجين يعتقدون بانهم روحانيون مارسوا معهم شتى انواع اساليب الدجل والشعوذة كالضرب والحبس والتجويد بحجة اخراج الجن منهم مما دفع بالكثير منهم الاعلان صراحة عن شجبها على اعتبار انها غير انسانية وبعيدة كل البعد عن ما يدعوا له الايمان الصحيح. ان ذلك لا ينفي بان البعض من اولئك المعالجين مارس اساليب ايمانية صحيحة، كالتعزيم وقراءة القران وذكر الدعاء والتوجيه اعطت نتائج جيدة في بعض الحالات كالقلق، الوسواس القهري، الحزن والاضطرابات التحولية (الهستيريا) والاوهام. هذا ما سنذكره لاحقا.

الثاني: المنظور العلمي Scientific

كان القدامى المصريين اول من ميزوا المرض العقلي فمارسوا العلاج على اساس عقلائي وفي زمن الحضارة اليونانية والرومانية (500 سنة قبل الميلاد - 200 سنة بعد الميلاد) نمت المعرفة كثيرا فقال ابو قراط 400 سنة قبل الميلاد ان الدماغ هو مكان العقل الذي تتركز فيه المعرفة وان المرض العقلي ينتج عن مرض الدماغ كما لاحظ دور الوراثة والاستعداد الفطري في نشوء الامراض العقلية والنفسية وقدم نظرية الاخلاط الاربعة وعلاقتها بالمزاج وقسمها الى (دموي، بلغمي، صفراوي و سوداوي) وقال ان الاضطراب فيها مسؤولا عن نشوء المرض العقلي وقسم الامراض العقلية الى (الهوس/ الميلاخوليا/ هيسستيريا/ الصرع) ونزع من الصرع (المرض المقدس) قدسيته واعتبره مرض له اسبابه وعلاجه وفي الهند قدم شاركو 400 سنة قبل الميلاد نظرية مماثلة وناقش افلاطون 328 قبل الميلاد العقل البشري ووجه العناية الى المعاملة الانسانية وركز على الفهم اللازم لعلاج المرضى بعيدا عن الدجل والشعوذة وناقش ارسطو كذلك العقل والكائن البشري واكد على ضرورة التمييز بين الاسباب الروحانية والاسباب العضوية وبدأ جالين 200 سنة قبل الميلاد علم الاعصاب التجريبي ودرس تشريح الانسجة العصبية و أوضح ضرورة وجود اصابة عضوية في المرض العقلي وفي العالم العربي والاسلامي ازدهرت علوم الطب واستبدلت اساليب العلاج القديمة باساليب تليق بقيمة الانسان الروحية كاستعمال الاعشاب لتهدئة المصابين والاعتسال بالماء البارد بعد قراءة شيا من كلام الله علية لتطهير المصاب من دنس الشياطين و من أهم اعلام العرب هنا هم الطبري، الرازي، ابن سينا والكندي الذي استخدم الموسيقى في علاج المرضى النفسانيين و إسحاق ابن عمران الذي ألف أول كتاب تطرق فيه الى الميلاخوليا (الاكتئاب) (توجد منه نسخة فريدة في المكتبة الوطنية في ميونخ - ألمانيا) وتأثر العرب بروح الإسلام برعايتهم للمرضى العقلين فأقاموا المستشفيات ودور المرضى (البيمارستانات) اثناء حكم الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون. وبدأت احوال المرضى تتحسن كثيرا في تلك المواقع. تعد العصور الوسطى عصور مظلمة بالنسبة للطب النفسي فقد عاد العلاج الى سابق عهده كما في العصور القديمة حيث اخذ الاغنياء يشتررون المجانين وضعاف العقول بأبخس الأثمان ليشغلهم بأعمال شاقة لقاء إطعامهم فقط كماعاد البعض من رجال الدين الى ممارسة اشبح الوسائل واشدها مثل تجويع المرضى وضربهم بالسياط لإخراج الجن منهم واعادة الذاكرة اليهم اما في العصر الحديث تحديدا في القرنين التاسع عشر والعشرين فقد زاد التقدم وظهرت نظريات جديدة وأشكال متقدمة من العلاج النفسي منها المنطل البارد والحمامات الساخنة وبدأ الإهتمام بالمرضى العقلين بعد ان تغيرت النظرة العلاجية فأقيمت المستشفيات وتحسنت بيئتها من حيث الرعاية فرفعت عن المرضى السلاسل وتحرروا من الزنانات في كل من فرنسا وانكلترا والمانيا وامريكا واتيحت لهم فرص التنزه والترفيه والعمل وتحسنت معاملتهم في مجتمع اوسع وبحرية اكبر ومن بين قادة الاتجاه الحديث باينيل في فرنسا وتيوك في انكلترا وروشييه في امريكا

4- **الايحاء:** من المعلوم ان الايحاء بالمرض مهما كان نوعه خارجي ام داخلي اساس الاصابة بكثير من الحالات النفسية لذا فان ايها المصابين باضطرابات نفسية وبخاصة التحولية (الهستيريه) بقدره العلاج الروحاني على مساعدتهم يؤدي الى قدر واضح من التأثير يشابه مفعول الـ (placebo). ان الايحاء بالنوم الذي نشاهده بالتنويم المغناطيسي يمكن تحويله الى ايحاء بالشفاء من اكثر الحالات العصائيه كالقلق، الرهاب، الوسواس والهستيريا.

5- **القدر:** ان الاقرار بان كل ما يصيبنا من امراض وكوارث هو مقدر وخارج عن ارادتنا بل هو مكتوب على جبيننا هذا الاقرار والتركيز عليه من قبل المعالجين الروحانيين يفيد الكثير من المصابين بمشاعر الحزن، وهذا ما نلاحظه اثناء التعزيات (الفتاح)، فما يتلقاه ذوي المريض من كلمات طيبة يخفف كثيرا من هول المصيبة لانه يعد مشاركة وجدانية و روحية من قبل المعزين.

6- **الاقرار بوجود قدرات خارقة عند البعض من المعالجين (parapsychology)** يمكن استغلالها والاستفادة منها في معالجة الكثير من الحالات النفسية فالحقيقة تقول اذا كان الله خالق الانسان وباراه سبحانه وتعالى يمتلك القدرة على ان يقول للشيء كن فيكون فلا بد ان تكون لمخلوقه وهو الانسان قدرات خارقة يستطيع من خلالها معالجة المرضى فقد وهب الله سيدنا المسيح عليه السلام وهو مخلوقه القدرة على ان يبرأ الابصر والابكم وان يخرج الجن من الممسوس وهي معجز او علامات ظاهرة لحقائق خفية غير منظورة تدل على مدى تأثير القوى الروحانية على الطبيعة الانسانية، كما ان نبينا العظيم محمد (ص) كان يخفف الكثير من معاناة المرضى بقراءة القرآن والشفاعة لهم بالدعاء وهو دليل واضح على تأثير الايمان النافذ من خلال قوة معنى الكلمة على نفسية وروح المريض. ان فالروحاني المحترف باستطاعته استخدام قدراته الروحانية وتوجيهها بصورة صحيحة في سبيل مساعدة المصابين باضطرابات نفسية والتخفيف من معاناتهم

7- **ادراك ما وراء الادراك:** استطاع اتباع التحليل النفسي بقيادة فرويد في بداية القرن الماضي اقتناعا بوجود ثلاث طبقات من الادراك هي: الوعي، ما تحت الوعي واللاوعي واكدوا على ان اللاوعي مليء بتجارب صادمة سابقة تم كبتها بعوامل الكبت المعروفة ودلونا على ان كشفها الى العلن بواسطة الجلسات النفسية التحليلية يفيد كثيرا في معالجة حالات عصائية معروفة لكنهم لم ينبهونا الى وجود ادراك اخر بعيد عن ادراكنا الواعي واللاوعي وهوما نسبية مجازا ما وراء الادراك. هذا ما يؤكد عليه الاستاذ يحيى الرخاوي هذه الايام برسائله المتعددة من خلال الشبكة العنكبوتية. ماذا يعني ما وراء الادراك انه ببساطة العوامل الروحانية الخفية (الغيبية) التي نستطيع ان نتلمس تأثيراتها لكننا لا نستطيع ادراكها، التنبؤ بها او رؤيتها. ان ادراكها هو من اختصاص الخالق عز وجل فهو عالم الغيب والشهادة وهو المدرك لما تدركه الابصار. اما نحن بني البشر فنستطيع ان نستدل على الاسباب الغيبية من خلال ما ورد بالكتب السماوية والتفسير المعتمدة وتأثيراتها علينا، من هنا يمكننا جمع ثوابتها وتسخيرها في جلسات العلاج النفسي الروحاني.

8- **النصح والارشاد:** ان اخذ المرضى النفسانيين وبخاصة المصابين بالاضطرابات العصائية والادمان على شكل مجاميع صغيرة الى المساجد والكنائس واماكن العبادة الاخرى وحسب معتقداتهم لسماع المواعظ الهادفة والاشترك في جلسات روحانية مفتوحة بعيدا عن التجديج والشعوذة له اثر كبير في تعديل القناعات المرضية لبعضهم وتخفيف الاحزان وازالة

5- واخيرا وليس اخرا: جماعة مريدو الطب النفسي الروحاني في كلية الاطباء النفسانيين البريطانيين والتي تالفت عام 1999 ونمت حتى شملت 2000 من اهم الاختصاصين في فروع الطب النفسي المختلفة مما حدى بالكلية ان تطلق نشرات ودوريات منتظمة بعنوان الطب النفسي الروحاني.

الغريب هنا ان الحركة بدأت ونشطت في امريكا واوروبا ونمت وتطورت في جميع الجامعات والمستشفيات ولم تظهر بالشكل المطلوب في العالم العربي الاسلامي مع ان ديننا الحنيف فيه ثراء علاجي غزير كما جاء في القران الكريم "واذا مرضت فهو يشفين" (سورة الشعراء 80) و " نزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارة" (سورة الاسراء 82). وعلى الرغم من وجود مريدين كثيرين مثل الاستاذين يحيى الرخاوي و احمد عكاشة في مصر، و دكتور ادريس موسوي في المغرب، دكتور طارق الحبيب في السعودية، د. محمد عمر سالم في الامارات ود. نهلة ناجي في مصر. التي تشغل منصب السكرتير العام في مركز البحوث الروحانية في جمعية الاطباء النفسانيين العالمية.

لماذا الحركة الان؟

ان الموضوع قديم جديد: قديم بممارساته المنحرفة التي ذكرناها سابقا كالدجل، الشعوذة والاستغلال وجديد بصراحته وصدقته وعلميته وركز هنا على علميته اذ اكدت البحوث العلمية الحديثة التي قام بها العديد من الباحثين بقدره العلاج الروحاني على احداث التغيير الايجابي في نفسية الكثير من المصابين باضطرابات نفسية وبخاصة القلق، الرعب، الوسواس القهري، الكآبة، الحزن والاضطرابات التحولية (الهستيريا) والادمان.

معايير العلاج الروحاني بالطب النفسي

يمكن تلخيص المعايير التي تفسر لنا تأثير العلاج الروحاني في الطب النفسي كما يلي:

1- **الايمان:** واساسه الثقة و الطمانينية التي تؤدي الى الشعور بالراحة النفسية فمن دون الايمان لا يمكن للعلاج النفسي ان يتم مهما كان نوعه علماني او روحاني فالايمان يفيد كثيرا بالتخفيف عن حالة المصاب بالكآبة ويمنع التفكير بالانتحار الناتج عن الشعور بالذنب ففي المسيحية مثلا يخفف الاعتراف امام الكاهن من هم الكثير من المصابين وفي الاسلام يحرم الايمان الانتحار وتناول الكحول. لقد افادت جميع الدراسات ان الانتحار والادمان اقل بكثير في المجتمعات الاسلامية منه في المجتمعات الغربية او اللادينية.

2- **الخشوع:** من المعلوم ان الصلاة وقراءة القران وذكر الادعية والتأمل وهو نوع من الخشوع يولد حالة من الاسترخاء الذهني ويقلل من التوتر الناتج عن القلق وهذا ما نشاهده في جلسات الذكر وزيارة الاماكن المقدسة ومرافد الاولياء والصالحين وممارسة رياضة اليوغا.

3- **الصبر:** هو القدرة على التحمل وبعد نوع من انواع الدفاعات النفسية التي يستخدمها الانسان لاشعوريا للتخفيف من شدة الضغوط النفسية التي يفرضها المرض وخير مثال على ذلك النبي ايوب (ع) فقد استطاع من خلال التمسك بالايمان والامل على المطولة في تحمل المرض ومن ثم الشفاء منه بعد معاناة طويلة. ان تدريب الانسان على الصبر والمطولة وزرع الامل في نفسه يفيد كثيرا في التخلص من معاناته النفسية في جميع الحالات سواء كانت نفسية او جسدية

بالدعاء والاستغفار والاستعاذه "وإما ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم" (سورة فصلت آية 36)، بناء على ذلك ادعو الى عقد ندوات مشتركة بين الاطباء النفسانيين وعلماء النفس والروحانيين لاجاد صيغ مشتركة من العلاج بعيدا عن التخريف والشعوذة والدجل لانقاذ المصابين باضطرابات نفسية وعقلية من استغلال البعض من المدعين وتوضيح الصورة العلمية للروحانية في العلاج النفسي. وعلى الباحث في الامور النفسية ان يستكشف النقاط الايجابية في العلاج الروحاني لاستقطابها ودمجها بالعلاج النفسي التقليدي وبخاصة العلاج التحليلي والسلوكي والعقلاني والنظر الى المريض ككل بالجمع بين الروح والعقل والجسد وعدم الفصل بينها.

الوساوس والشكوك من انفسهم. ان ذلك لا يختلف عن تاثير المجاميع العلاجية الذي يجري داخل المستشفيات او الاسناد الذي تمارسه مجاميع المتطوعين مع المدمنين على الكحول والسمارتنز للذين يفكرون بالانتحار.

الخلاصة:

ان المعالج الروحاني يستطيع من خلال ما يعرفه من العلوم الروحانية الرصينة ان يقوي الايمان في نفس المريض وحثه على الصبر وزرع الامل في نفسه وتقوية قدراته على الخشوع وتدريبه على التأمل والاسترخاء واعتبار المصيبة والضغط مقدرة وانه ليس سببا في وقوعها كما ان الله سبحانه وتعالى قادر على مساعدته عندما يطلب منه ذلك

المعجم الموسع للعلوم النفسية - الإصدار العربي

مصطلحات حرف "ط" من المعجم النفسي العربي-الإنكليزي-الفرنسي

عربي - إنجليزي - فرنسي
(خاص بالمشتركين - محمي بكلمة عبور)
مستند أكروبات مضغوط

http://www.arabpsynet.com/pass_download.asp?file=2016

**** *

المعجم الوجيز للعلوم النفسية - الإصدار العربي

مصطلحات حرف "ط" من المعجم النفسي العربي-الإنكليزي-الفرنسي

عربي - إنجليزي - فرنسي
(تنزيل حـر)
مستند أكروبات

www.arabpsynet.com/eDictBooks/Ar.aef-Short/TAA.aefShort.pdf

مستند أكروبات مضغوط
www.arabpsynet.com/eDictBooks/Ar.aef-Short/TAA.aefShort.exe

**** *

المعجم الموسع للعلوم النفسية - الإصدار الإنكليزي

مصطلحات حرف "P" من المعجم النفسي الإنكليزي-الفرنسي-العربي

إنجليزي - فرنسي - عربي
(خاص بالمشتركين - محمي بكلمة عبور)
مستند أكروبات مضغوط

http://www.arabpsynet.com/pass_download.asp?file=3066

المعجم الوجيز للعلوم النفسية - الإصدار الإنكليزي

مصطلحات حرف "P" من المعجم النفسي الإنكليزي-الفرنسي-العربي

إنجليزي - فرنسي - عربي
(تنزيل حـر)
مستند أكروبات

<http://www.arabpsynet.com/eDictBooks/Eng.efa-Short/O.efaShort.pdf>

مستند أكروبات مضغوط
<http://www.arabpsynet.com/eDictBooks/Eng.efa-Short/O.efaShort.exe>

"الإختصاص في النفس والدين"

د. صادق السامرائي - الطب النفسي، أمريكيا / العراق

alrahwan@yahoo.com

هذه وجهة نظر وددت أن أشارككم بها حول موضوع سابق لأحد الأخوة الزملاء بخصوص الكلام عن " الدين ورموزه في وسائل الإعلام" ، لكنني لم أرسلها في حينها، لأن التفاعل مع الوسائل الإعلامية في هذه الموضوعات له نتائج غير متوقعة، فالتلقي يكون منفعلا، ونحن نقرأ ونسمع ما فينا وليس غير ذلك.

واليوم يتناوله عدد من الزملاء مجدداً فرأيت إرسالها، مع أن الموضوع دقيق ويحتاج إلى ثقافة ومعرفة موسعة. ومن الأفضل أن لا ننجر إلى العلاقة ونتجاهل الآليات النافعة في العلاج

فلا يمكن للمرء إستيعاب أن يتكلم إختصاصي نفسي وكأنه رجل دين، فيقدم الفتاوى والتفسيرات في حالات تدعو للدهشة والإستغراب. هذا ما كان يصلني من أحد الزملاء، وفي كل مرة أقف مذهولاً أمام تحليلاته وفتاواه ورؤاه عن الشيطان والجنة والنار والكلب والذئب والحلال والحرام والزيجات وزواج كذا وكذا، والغوص في الأحاديث وإثبات صحتها وإعطاء قراءات نفسية لقضايا لا تتفع.

وأستستأعنا...

- لماذا هذا الميل للكلام عن الدين ورموزه من قبل المختص النفسي؟! ولزلت في مرحلة البحث عن الجواب لأنها ظاهرة تستحق البحث والتأمل...!
- ترى هل أنها إرهابات مكتوبة فينا فوجدت الظروف المناسبة لإنطلاقها؟!!
- وهل أن عقولنا قد تشكلت منظارها وفقاً لعادات الجينات المتوارثة عبر الأجيال؟!!

ومن الأفضل والأسلم أن لا ننزلق إلى ما يُراد أخذنا إليه، لأن أي حديث نفسي عن الدين سيتعمم ويكون مصحوباً بعاصفة يتم إستثمارها لغايات غير حميدة، وقد تدفع إلى ردود أفعال ضارة.

ومن الأصوب أن نأخذ على عاتقنا الكتابة الإقناعية المتأنية التي تحبب العلوم النفسية وتبرز دورها وأهميتها وقيمتها في بناء المجتمعات المعاصرة، وأن نبحث في آليات العلاج النفسي وفقاً لما يتفق ومورثاتنا الثقافية ومنها الدين، وليس الحديث عن العلاقة ما بين الدين والطب النفسي، فالدين له علاقة بكل النشاطات البشرية ومنذ الأزل.

وفي الغرب هناك من يرى أن الطب النفسي يعارض الدين وتوجد العديد من الكتب والمقالات والمواقع التي تبحث في ذلك، وتلك مجتمعات ذات ثقافات نفسية جيدة، ونحن في مجتمعات تعاني من أمية نفسية واضحة، وإثارة علاقة الطب النفسي بالدين ستحقق هزيمة للطب النفسي وتحوله إلى هدف!

تفاعلات بعض الزملاء الأعزاء مع الموضوعات الدينية تدعو للحيرة، حتى أن أحد الزملاء صار يتحدث وكأنه العالم بالدين، فيعطي آراء في موضوعات متنوعة، وكم حاول أخذي إلى إبداء الرأي وأبييت، ومضيت أشير رمزا إلى أن هذا مطب ومقلب ومنزلق مُبرمج يستهدف الوقعية ما بين العلوم النفسية والمجتمع، وربما أفلحت في إقناعه لأنه كفاً عن التحدث منذ شهور.

ذلك أن حشر العلوم النفسية بالمواضيع الدينية سيؤدي إلى إقامة جدار عازل ما بين المجتمع العربي وبينها، لإدامة التجهيل وتغذية السلوكيات والرؤى والتصورات السلبية اللازمة لتحقيق أهداف الإرادات الأخرى المعروفة.

- فهل أننا قد أوفينا جميع التحديات والحاجات ولم يتبقى عندنا غير الحديث في المواضيع الدينية؟!!
- فما هي المردودات الإيجابية لتناول المواضيع الدينية من قبل المختص النفسي؟
- وهل أن الإقتراب النفسي من الدين له تفاعلات نفسية نافعة؟

هناك بعض المهتمين بالموضوعات "السيكودينية"، لكنهم يميلون إلى الفلسفة وعلاقة العقل والإنسان والطبيعة، وهم في مجتمعات ديمقراطية دستورية حرة وواعية، ومع ذلك فأنهم يتوخون الحذر، فكيف ترى يجب أن يكون الإقتراب في مجتمعات منفعلة وذات إندفاعية عاطفية عالية. ومن المعروف أن في جميع الأديان والكتب السماوية إشارات وتفسيرات نفسية. وفي الدول الغربية تقوم الكنائس بتقديم "السايكوثيرابي" من قبل رجال الدين، حتى في المستشفيات هناك رجل دين يقدم الإسناد النفسي والروحي للمرضى. والدين الإسلامي غني بالآليات العلاجية والترويقية النفسية، وقد مارسها وعبر عنها العديد من أعلام الطب المسلمين على مرّ العصور. وفي حاضرنا يتم إغفال العلاج النفسي الديني والميل إلى أشياء أخرى لا تغني من بردٍ أو تطعم من جوع.

وختاماً، أرى بتواضع وإحترام وتقدير، أن لا ننعغمس في مناقشات علاقة الدين بالطب النفسي، فننأى عن حقيقة التحديات والمهام المهنية التي علينا أن نتحملها ونؤديها لرسم معالم ثقافة وعي نفسي إيجابي يساهم في تحقيق إرادة الأجيال الحاضرة، ويؤمن تواصلها مع المستقبل بثقة وقدرات ذاتية نفسية تؤهلها للتعبير عن طاقاتها وطموحاتها الفاضلة.

ويبدو أن الموقف الصحيح أن نكرس جهودنا في العمل الجاد والفعال لتوفير أفضل خدمات إختصاصنا بإيجابية وتفاعلية راجحة، فقد يكون الحديث عن العلاقة ما بين إختصاصنا وديننا إنزلاقة لا تحمد عواقبها.

إنما النفس بدينٍ أشرفت

يا أطباء نفوس إحذروا
وغيي عن كلام نابع
إنما النفس بدين أشرفت
قد علت فينا وفيها أوضعت

ديننا دين قويم فانظروا
من رؤانا فدعوه وابصروا
وبدين كم نراها تكبر
واطمانت بكتاب يندر

إن علمنا ما علمنا كنهها
فلماذا ندعي قولاً بها
يا طبيب النفس لا تدنو إلى
وتأني في جواب وانتهي شعبنا

يرجو علاجاً شافياً
قد أروها شيقاً دامياً
فاجبروها باقتراب نافع
أي فعل بزمان ضمّه

أمة تمضي وأخرى بعدها
فابعدوننا عن مهاوي هفوة
خاطبوا الفحوى بحلم حاضر

حالما ندري فنحن الأصغر
وبها قالت عقول تخبر
ما يساقبها جراحا تتعر
عن سؤال لعليل يضمّر

لا دواء مثل داء يدر
ونفوسا بخراب تدمر
وامنحوها بعض نور يسفر
ومكان بنداء يجهر

وكذا الأيام فينا تبحر
قد سمي عقل وعقل يؤسر
واحذروا الإعلام فيها إحذروا!!..!!

المعجم الموسع للعلوم النفسية - الإصدار الفرنسي

مصطلحات حرف "P" من المعجم النفسي الفرنسي-الإنكليزي-العربي

فرنسي - إنكليزي - عربي

(خاص بالمشاركين - محمي بكلمة عبور)

مستند اكروبات مضغوط

http://www.arabpsynet.com/pass_download.asp?file=4066

**** *

المعجم الوجيز للعلوم النفسية - الإصدار الفرنسي

مصطلحات حرف "P" من المعجم النفسي الفرنسي-الإنكليزي-العربي

فرنسي - إنكليزي - عربي

(تنزيل حرر)

مستند أكروبات

<http://www.arabpsynet.com/eDictBooks/Fr.fea-Short/P.feaShort.pdf>

مستند أكروبات مضغوط

<http://www.arabpsynet.com/eDictBooks/Fr.fea-Short/P.feaShort.exe>

"الإختصاص النفسي والهوية..."

د. صادق السامرائي - الطب النفسي، أمريكيا / العراق

alrahwan@yahoo.com

ثانياً: الأمية القرآنية

القرآن الكريم تنزل بلسان عربي صريح وبلغ ، ولكي نفهمه لا بد لنا من معرفة لغته ، وإذا ضعفت اللغة فإن الثقافة القرآنية ستضعف ، وهذا سيؤدي إلى اضطراب ملامح الهوية ويدفع للسعي إلى البحث عن هويات أخرى ، لأن أمية اللغة ستؤدي إلى الأمية القرآنية.

ثالثاً: آليات التفكير

الشعور بالسلبية والتبعية والتقليد يحطم طاقات إمتلاك الهوية ، فإذا لم يكن التفكير إيجابياً والإقتراب منقائل ومنطلق نحو آفاق مستقبل يقرره الإنسان فإن الهوية ستنمزق وتتكمش معانيها وتفقد قيمتها.

رابعاً: قيود التدايعيات

التدايعيات المتواكبة والإنهيارات المتعاقبة تزعزع الهوية وتتسبب في مواقف إنفعالية عدوانية رافضة لها ومقللة لقيمتها وتأثيرها في الحياة.

خامساً: أنظمة الحكم

أنظمة الحكم الفردية والفئوية جردت الهوية من الكثير من مواصفاتها ومعانيها ودورها في صناعة الحاضر والمستقبل ، فبدلاً من أن تأخذ الهوية طابعها الوطني والعروبي ، صارت ترتبط بالكرسي والحزب والفرد المتسلط على مقدرات المجتمع.

سادساً: حرية التفكير

تفكيرنا مقيد ومحكوم بنمطيات بالية معززة بدوامه سلوكيات متنوعة ، تهيمن عليها آليات الدفاع الأولية الغير ناضجة ، مما يدفع بنا إلى إنحرافات سلوكية وتعبيرات معادية للهوية والحط من معانيها وفعاليتها الحضارية.

سابعاً: التقبيل والإحتمال

ذكر أحد الأساتذة الدبلوماسيين الذي أمضى أربعة عقود في العمل الدبلوماسي معاناته في قبول الآخر ، وقد تمكن من التغلب على هذه المشكلة بعد أعوام عديدة من التفاعل مع الآخرين ، وهذه العقدة الفاعلة فينا ذات منشأ تربوي منحرف ، يدفع بنا إلى عدم قبول وتحمل الآخر الذي لا يشابهنا أو يتطابق معنا في كل شيء.

وهو سلوك يضيف على الهوية ملامح سلبية تؤدي إلى رفضها وتصغيرها مما يدفع بنا إلى زعزعة الارتباط بها أو إدعائها.

ثامناً: الماضوية

لكي نمثلك هوية حية وحيوية لا بد لنا أن نكون في عصرنا ، أما أن نستحضر الماضي ونمنحه السيادة على وجودنا فأنا ننقض على هويتنا ونبعدها عن قوتها وقيمتها ، وقدرتها في التحرك الفعال في ميادين الحياة التي تعززها وترفع من شأنها.

كنت في ندوة للحوار عن هويتنا ودورها مع عدد من المفكرين العرب ، ولم أكن قد أعددت ورقة للنقاش ، وبعد أن قرأ المشاركون أوراقهم وطرحوا آراءهم واستاجاتهم بدأ الحوار ، وكان لا بد لي أن أتحدث ، فكنت الطبيب النفسي الوحيد في الندوة.

وقد تواردت بعض الأفكار وأنا أستمع للمتحدثين البارزين في ميادين الثقافة والفكر العربي ، وقد لخصتها بكثافة وتركيز وشاركت بها في الندوة.

وأثناء الندوة الحوارية العميقة تساءلت عن دور الإختصاصي النفسي في تحديد معالم الهوية العربية؟ وهذا السؤال قادني إلى سؤال ، ما هي هوية الإختصاصي النفسي في مجتمعنا؟

وقبل تناول العوامل التي تحدد الهوية العربية من وجهة نظر الطبيب النفسي ، لا بد لنا أن نعرف معالم هويتنا الإختصاصية: **فهل نحن نعبر عن هويتنا العربية في إختصاصنا النفسي؟**

إن ما نقوم به ونمارسه هو تطبيق لنظريات الآخرين في مجتمعنا ، فنحن لا نمثلك نظريات عربية في علوم النفس والإجتماع ، وقد أمضينا القرن العشرين في نمطية سلوك التقليد وتطبيق نظريات مجتمعات أخرى على مجتمعنا، حتى أننا لم نأخذ بنظر الإعتبار الإختلافات الثقافية ودورها في التفاعلات العلاجية. فقرأ كتباً ومقالات تسعى إلى تفسير ظواهر مجتمعنا وفقاً لمقاييس مجتمعات أخرى. وفي مجتمعات تلك النظريات يتم التأكيد على ثقافة المريض وخلفياته المتنوعة لتحديد الخطة العلاجية اللازمة لحالته. ويبقى السؤال حائراً عندنا ، وهو ما هي نظريتنا وخطتنا العلاجية لمرضانا وفقاً لخصوصياتنا الثقافية والحضارية وآليات تفكيرنا وتصوراتنا؟ والجواب دائماً في غيب بعيد.

إن أي إختصاص لا بد له أن يكتسب هوية المجتمع الذي هو فيه ، فالمختص النفسي الصيني لديه هويته الصينية وكذلك الياباني والإيطالي والألماني وغيرهم ، أما العربي فإنه ربما يكون مجهول الهوية أو أن هويته غير واضحة المعالم ، وهذا يعكس تحديات الهوية العربية بصورة عامة وضعف دورها الحضاري والإنساني.

فالحالة العامة للمجتمع العربي تنعكس في حقل الإختصاص المهني.

ترى ما هي تحديات الهوية العربية ودورها؟

سأقدم بعضها باختصار لأن كل عنصر يحتاج إلى تفصيل مطول:

أولاً: اللغة العربية

اللغة جوهر الهوية وبدون لغة معاصرة وفاعلة في العقل والروح والضمير لا يمكن الكلام عن الهوية لأي أمة ومجتمع، لأن اللغة هي الوعاء الجامع والمعبّر عن وجود الإنسان ومميزات دوره وتأثيره.

تاسعا: "اقرأ" الغائبة

العقول بالمجتمع ، وعدم تمكنها من المساهمة في بناء حاضره ، مما أوجع الهوية ودفعها إلى التغرب والتشرد.

رابع عشر: المواطنة الأسيرة

المواطنة العربية تتفاوت درجاتها وتأثيرها في السلوك الاجتماعي ، وهي بين الغائبة والحاضرة بخجل ، وهوية المواطنة في معظم الدول العربية ليست ذات قيمة دستورية وقانونية تعلي شأنها وتجعلها وعاءً جامعاً للتنوعات القائمة في المجتمع. وبغياب دور المواطنة الواضحة ضعفت معاني الهوية بصورة عامة.

خامس عشر: الإنكسارية

الثقة مكسورة بتقديم ما يميزنا ، وهذا الشعور الإحباطي السائد يمنعنا من الجد والإجتهاد وتحقيق الأصيل الذي يشير إلينا. وبسببه ضعف إهتمامنا بالمعرفة وتنمية العقول العارفة المبدعة مما أصاب الهوية بخمول الحركة والفعل والدور.

السادس عشر: النفض

هذا المارد الذي أثر كثيرا في سلوكنا وحطم هويتنا وجردها من جميع معانيها ، حولها إلى سائل أسود يتدفق من تحت أقدامنا ويجلب علينا الويلات والأهوال ، حتى صارت هويتنا نفطية بحتة وسلوكنا نفطي خالص ، مما أفرغ الهوية الحقيقية من جوهر معانيها ومراميتها الإنسانية.

وهناك العديد من العوامل الأخرى التي علينا أن نتفحصها ، لكي نعيد لهويتنا الحضارية قيمتها ودورها الأصيل. وفي ميادين العلوم النفسية والاجتماعية ، يبدو من الضروري العمل على رسم ملامح هويتنا الإختصاصية ، فنحن في زمن النهضة العربية الوثابة المتطلعة لدورها الحضاري ، في عالم يتمازج ويتداخل إلى حد الذوبان في وعاء شاشة صغيرة تمكنت منا جميعا. ولهذا فمن واجبنا أن نساهم في تحديد ملامح هويتنا والتأكيد على الأنا المعاصرة الناهضة التي تريد الحياة الحرة الكريمة العادلة.

أول نداء سماوي دوى في آفاق الأرض العربية هو نداء "اقرأ" بمعانية الشاملة الجامعة لمفاهيم القراءة والوعي والإدراك البشري، فالقراءة من روافد تغذية الهوية بالقوة والبقاء والتواصل مع زمانها والتأثير الجاري في مكانها. وعندما لا نقرأ سنجهل هويتنا أو نتجاهلها في عصر الانفجار المعلوماتي والإتصالي المتنامي.

عاشرا: الإبتكارية

المجتمعات المتقدمة ذات هوية قوية وراسخة والمجتمعات المتأخرة ذات هوية ضعيفة متداعية ، وبغياب الروح الإبتكارية فإن هوية المجتمع تضعف وتكون سببة لا فخرا ، ولهذا ترى العربي في المجتمعات المتقدمة يتحاشى الإشارة إلى هويته وبعضهم يميل إلى التلخص منها.

حادى عشر: السلبية

السلبية أفة قاتلة وماحقة لطاقت التقدم والرفاء ، وهي كالأرضة التي تنخر وجودنا وتنهك مسيرتنا الحضارية المعاصرة ، وبسببها تحققت الأزمات والتفاعلات الضارة بسلامة حياتنا ، وقد طغت على ملامحنا وأسهمت في تشويه معالم هويتنا.

ثاني عشر: تصنيع الأفكار

عجزنا الواضح على تحويل الأفكار إلى منجزات نافعة في الحياة ، قد دفع بنا إلى الشعور المتواصل بالإحباط والتزام موقف الضعف والعجز والخسران ، وعدم توفر روح المنافسة والتحدى والإقدام ، مما أصاب معاني الهوية بمقتل.

ثالث عشر: ضعف الوعي الإقتصادي

التفكير العربي غير إقتصادي ، وإنما هو عبثي وغيبى ، نجم عنه فقدان قدرات الإستثمار المربح والمنتج للثروات الطبيعية والبشرية ، وتسبب في الدخول في مأزق الإضطراب المتواصل في علاقة

Search To APN Database

Search By APN Electronic PSY Dictionary

English Dictionary

<http://www.arabpsynet.com/eng/SearchEngForm.htm>

[Add or Revise New English Psyterm](#)

<http://www.arabpsynet.com/propeng/engPropForm.htm>

French Dictionar

<http://www.arabpsynet.com/FR/SearchFrForm.htm>

[Add or Revise New French Psyterm](#)

<http://www.arabpsynet.com/propfr/FrPropForm.htm>

Arabic Dictionar

<http://www.arabpsynet.com/AR/SearchArForm.htm>

[Add or Revise New Arabic Psyterm](#)

<http://www.arabpsynet.com/propar/arPropForm.htm>

صحة نفسية بين التعلق والتخلف

د. سعاد جواد التميمي - استشاري أمراض النفس - المملكة المتحدة/ العراق

sudad.jawad@btinternet.com

يمكن تعريف التعلق كما يلي:

هو وثاق بيولوجي الاصل بين الطفل و من يراعه و الذي من خلاله يتم ضمان سلامة و بقاء الطفل.

في هذا النموذج يسعى الطفل الى التقرب الى من يراعه و الحصول على رد فعل مريح و مفيد. تبدأ هذه العملية منذ الاسابيع الاولى و تصبح واضحة و متميزة في عمر ستة أشهر، و يضيف البعض بان فترتها الحرجة هي بين عمر 6 - 18 شهراً. عندما يتوجه الطفل نحو من يراعه و تبدأ عملية التعلق فهناك صفات معينة في شخصية الام او من يرضى الطفل و التي بدورها تساعد على سير العملية بصورة صحية و هي:

١ التتاسق في السلوك و رد الفعل.

٢ جدير بالثقة.

٣ تحليه بالصبر.

٤ الحزم في السيطرة.

من جراء هذه العملية يتم استحداث نماذج داخلية عملية للعلاقات و يتم تخزينها كمخططات عقلية يتم استعمالها في جميع مراحل الحياة. هذه المخططات العقلية تتعلق بتوقعات الانسان حول سلوك الآخرين تجاهه.

في هذا المرحلة يمكن ان نتحدث ان هناك نوعين من المخططات العقلية التي يخزنها الانسان:

١ مخططات منذ الطفولة يتم تخزينها من جراء تعلق الطفل بمن يراعه.

٢ مخططات تخزينها الام من جراء حملها للطفل و الرعاية به.

المخططات الاولى أكثر ثباتاً و تفعل فعلها في العلاقات البشرية. أما المخططات الثانية فلها علاقة بالمخططات الاولى التي تم تخزينها و كذلك بالظروف الاجتماعية و الصحية أثناء فترة الحمل و رعاية الطفل.

استراتيجيات التعلق

هناك اجماع على ان استراتيجيات التعلق لا علاقة لها بالوراثة من قريب أو بعيد. يتم استحداث هذه الاستراتيجيات منذ الطفولة و تبقى ثابتة نسبياً مع تقدم العمر. يتم تصنيف هذه الاستراتيجيات على ضوء سلوك الطفل عند فراقه للام او من يراعه كالاتي:

١ الطفل الآمن Secure Child: يعود الطفل الى التقرب بسرعة عند رجوع الام و يشعر بالسعادة.

يكثر البشر من استعمال تعبير التعلق في جميع ميادين الحياة الاجتماعية و النفسية و الوظيفية. يتحدث الانسان عن تعلقه بالوطن ان كان يعيش في وطنه او تحتضنه بقعة من بقاع الارض نصفها بالغربة. بعدها يتحدث الانسان عن تعلقه بمكان عمله، و تراه يعاني الكثير عند الرحال الى مكان عمل آخر. ان ظاهرة التعلق التي تلازم الأُنسان طوال عمره مصدرها و احد فقط و هي الطفولة.

هناك تعبير آخر أكثر حداثة من تعبير التعلق و هو التعلق، و الذي شاع استعماله في مجال الصحة النفسية للتعبير عن قدرة الانسان على استيعاب و ادراك ان سلوكه و سلوك غيره له دوافعه الداخلية الناتجة عن تمثيل لتعلقه منذ الطفولة بمن تولى رعايته.

ان الحديث عن هذين المفهومين ربما يلقي الضوء على بعض من الارتباك في مجال الصحة النفسية عبر مختلف الحضارات البشرية في عصرنا هذا و خاصة ما تم التطرق اليه بعض زملاء في العالم العربي هذا العام الى الدعوة لنظرية اسلامية نفسية او علاج نفسي اسلامي.

ألتعلق في مراحل الطفولة

ترتبط الام بطفلها منذ ايام الحمل، و يبدأ هذا الارتباط بالنمو مع تقدم الأسابيع و اقتراب موعد الولادة. يمكن تعريف هذه العملية بالارتباط الامومي و متى ما كان هذا الامر صحيحاً يمكن توضيحه باختصار على انه حرص الام على خلق محيط عاطفي خاص للطفل في داخلها.

عملية الارتباط الامومي Maternal Bonding تبدأ بخلق افكار و أحلام حول الحياة الموجودة في داخل الرحم و ماذا تعني للام. هذه العملية قد تتأثر بالعديد من المشاكل النفسية و الطبية التي قد تتعرض لها الام خلال أشهر الحمل، و بدورها قد تؤثر سلباً على علاقة الام بالطفل، و على ضوء ذلك لا بد من الانتباه الى الصحة النفسية للمرأة خلال أشهر الحمل. لا بد من توثيق العلاقة مع الزوج في هذه المرحلة و مشاركته في المتابعة الصحية للمرأة و التخطيط معاً للأيام القادمة. من خلال ذلك يمكننا ان نتصور بان علاقة الام بطفلها تنتج مخططات عقلية Mental Schemas في الام منذ مرحلة مبكرة و قبل ولادة الطفل.

و لكن عندما نتحدث عن التعلق فالإشارة هنا تكون نحو ما نسميه بنظرية التعلق Attachment Theory المرتبطة باسم جون بولبي John Bowlby. أستعمل الاخير هذا المصطلح في اول الامر عام 1958 و بعدها طور النظرية من خلال ثلاثة نشرات تحت اسم التعلق و الضياع Attachment and Loss في 1969، 1973، و 1980. لم تلاقي هذه النظريات انتباه الكثير من الاطباء النفسيين و الباحثين في علم النفس لفترة طويلة و لكنها بدأت تنبؤاً مقدها مع زيادة الاهتمام بدراسة العلاقة بين الطفل و الوالدين في شتى المجالات الطبية و الاجتماعية.

٦ التعلق المعكوس Reversed: مع الوقت تبدأ الام بالاعتماد على الطفل لتلبية احتياجاتها النفسية و مستقبلاً ترى الطفل يقوم برعاية الام بدلاً من ان تقوم هي برعايته. من جراء ذلك تكثر ملاحظة علامات القلق و الاكتئاب عند الانسان المتعرض لمثل هذا التعلق و يتصف بعدم الثقة بالنفس. يجب الانتباه الى مثل هذا التعلق الغير الصحي في الاطفال الراضين الذهاب الى مراكز التعليم و الذين يشكون من اوجاع جسدية غير واضحة.

٧ التعلق الشبقي Erotic: ترى هذا التعلق عند الاطفال الذين يتقربون الى الوالد او الام من الجنس الاخر بطريقة جنسية، و هدفهم الحصول على العطف و الحنان المصاحب للإثارة الجنسية. يتم نقل مثل هذا السلوك الى الاخرين من البالغين الذي يتسلمون عناية الطفل في مراحل مختلفة و خاصة الاقارب و اعضاء المؤسسات التعليمية و الطبية. هناك حلقة وصل بين هذا السلوك و تعرض الطفل الى نوع ما من الاعتداء الجنسي من قبل الوالدين. يتم دعوة الطفل الى التقرب و الحصول على اللفة و المودة، و من جراء ذلك يشعر الطفل بالشهوة الجنسية و يستوعبها كتجربة ممتعة و غير مؤلمة. يصاحب هذا الامر الكثير من الارتباك في العلاقات و عند البلوغ و المراهقة يبحثون دوماً على منهم أكبر سناً و يتقربون لهم بصورة جنسية. يشترك الذكور و الاناث سوية في تعرضهم لمثل هذا السلوك، و لا بد من الانتباه اليه من قبل العاملين في المجالات الصحية و التعليمية.

٨ التعلق الخبيث Malignant: يتصف مثل هذا التعلق بغياب اي نظام معقول من نظم التعلق. ترى الطفل كثر الحماس للتقرب من الوالدين و لكن ذلك فقط لإرضاء الوالدين بدلاً من شعوره بالأمان و الحنان. ترى توقعات الوالدين أكثر بكثير من قابلية الطفل الفكرية و من جراء ذلك تراه ينعثر دوماً في مراحل التعليم و قد يقضي الكثر من سنوات العمر مكافحاً من أجل الحصول على شهادة جامعية لا يمكن وصفها الا بعديمة الفائدة. يكتر الوالدان من تهديد الطفل بالعقاب عند الفشل و لكنهم لا يتوقفون ابداً في دفعه نحو الطريق الخطأ من اجل بناء مستقبله. البعض من هؤلاء يصابون بالكثير من الاعراض النفسية و البعض الاخر منهم لا يحمل الا العداء نحو الاخرين و التسفيه بهم. ان استعمال كلمة التعلق الخبيث في هذا الحالة مناسباً جداً حيث ترى هؤلاء ينقلون هذا التعلق و السلوك نحو الكثير من المقربين لهم في الكثير من مجالات الحياة.

لمحة تاريخية

مسألة تعلق البشر بعضهم ببعض لها تاريخه الطويل و تساءل الباحثون دوماً حول ايها الاله: طبيعة الانسان و خصائصه ام تربيته Nature versus Nurture. لا يزال هذا السؤال يطرح نفسه حتى يومنا هذا فهناك من يقول ان الجينات التي يحملها الانسان لها الصدارة و الاخر يميل الى العكس، و البعض يجمع بين الاثنين.

اول إشارة تاريخية لدراسة امر التعلق مصدرها الامبراطور الروماني فردريك الثاني الذي امر في القرن الثالث عشر بجمع بعض الاطفال في عمر الرضاعة و اعطائهم عناية جسدية فقط مثل الغذاء و الملابس و لكن عدم السماح لأي من يتولى رعايتهم بالكلام معهم. كان غاية هذا الامبراطور المقدس اكتشاف اي لغة سيختار الاطفال مستقبلاً. بالطبع لم يكشف عن نتائج هذه التجربة الرهيبة الا أحد الرهبان حيث دون بعدها ان الأطفال لقوا حتفهم مع الالام، فلا طعام او ملابس يمكن ان يغطي احتياجات الطفل بدون لمسة حنان و عطف و اتصال متبادل مع من يراعه.

٢ الطفل المتجنب Avoidant Child: يكون اقل قلقاً عند الفراق و لا يبالي بعودة الام و حتى بمن يتولى رعايته.

٣ أطفال المتردد او القلق او المعارض Ambivalent, Anxious, or Resistant: يكون أكثر الاطفال كرباً و الماً عند الفراق و تظهر عليه علامات الغضب و سلوك التثبث عند رجوع الام.

٤ الطفل المضطرب و المشوش Disorganized – Disoriented: لا يمكن الحصول على اي سلوك واضح له عند الفراق من الام و العودة لها. هذه الاستراتيجيات الاربعة تشبه الى حد كبير فئات او انواع التعلق بين البالغين كما يلي:

١ الافراد الذين يشعرون بالاستقلال و الامن و يحرصون كل الحرص على العلاقات البشرية مع الغير.

٢ الافراد الذين لا يشعرون بالأمن في العلاقات و يميلون الى تحقير العلاقات و غيرهم من الناس في معظم الاحيان، و احياناً و لفترة محدودة يجللون بعض العلاقات البشرية.

٣ افراد يشغلون تفكيرهم بعلاقات الماضي و الحاضر و تراهم في ضياع و ارتباك مع غيرهم من البشر.

٤ أفراد لا يفهمون موقعهم في الدنيا و ترى اثار الاهمال و صدمات الماضي واضحة عليهم.

تصنيفات أخرى للتعلق عند الأطفال

عند دراسة تعلق الطفل بالأأم او من يقوم بدورها هناك العديد من المصطلحات الشائعة الاستعمال و التي لا تختلف جذرياً عن في اطارها و محتواها عن الاستراتيجيات الاربعة أعلاه و هي:

١ أطفال الغير متعلق Unattached: تم إهماله منذ ايام الرضاعة و في بعض الاحيان كان ضحية لعنف جسدي.

٢ الطفل المستقل او المنفصل Detached: تعلق الطفل بالأأم في البداية و بعدها تعرض الى الاهمال و عدم التناسق في الرعاية. هذا الطفل لا يبالي مع الوقت بعناية الاخرين. بعد مرحلة البلوغ و الارتباط بشريكة حياته يستمر في استقلاله و يعيش دوماً على هامش العائلة.

٣ التعلق التجنبي Avoidant: تظهر على الطفل علامات القلق بصورة واضحة عند حدوث أي جهد او ضغط و يسعى الى المزيد من التعلق بالأأم. أحد اسباب هذا النوع من التعلق غياب التناسق في الرعاية. يكتر الوالدان من حشر الطفل في جميع مشاكلهم و من جراء ذلك تراه يتعرض الى العناية الفائقة يوماً ما و احياناً يكون هدفاً لغضبهم و اكتئابهم.

٤ ألتعلق الاتكالي Dependent: تظهر علامات عدم الشعور بالأمن و القلق بسرعة عند فراق الام. ترى الانسان الذي نشأ على مثل هذا التعلق كثير الاتكال على شريكة حياته، و عند الازمات يتم تراجع شخصيته تطورياً و يصبح غير قادراً على الاعتماد على النفس. تظهر معالم التراجع التطوري في الادمان على العقاقير الطبية بأنواعها و الشراهة في الاكل.

٥ ألتعلق المتردد Ambivalent: يعكس هذا التعلق تفاعل الطفل الى عناية الام الغير متناسقة، و التي تعرضه الى النقيضين من الرعاية الإيجابية و السلبية. يُلاحظ هذا التعلق بكثرة في وجود العنف العائلي الموجه نحو الام او اصابتها بمرض وجداني و خاصة الاضطراب الثاقطي.

ان العمل في مجال الصحة النفسية يتطلب من المعالج النفسي الامام الواسع بالأبعاد الاجتماعية و الدينية و الحضارية للمجموعة او المجموعات البشرية التي تستقبل خدماته. عند التعامل مع المريض يلجأ المعالج الى صياغة حالة المريض من خلال النماذج المختلفة الشائعة الاستعمال مهنيًا و هي:

- ١ النموذج الاجتماعي.
- ٢ النموذج النفس الديناميكي.
- ٣ النموذج السلوكي المعرفي.
- ٤ النموذج الطبي.

يساعد الامام بالانتماء الديني للمريض على وضع الحدود العريضة و الواضحة للتفاعل بين المريض و المعالج، و عدم تجاوزها. كذلك يساعد هذا الامر على ادراك تأثير هذا الانتماء في صياغة النماذج الثلاثة الاولى و لكنه لا يساعد من بعيد او قريب في صياغة الحالة على ضوء النموذج الرابع. عند هذه المرحلة من صياغة حالة المريض لا بد من اللجوء الى مفهوم التعقل في تعامل المريض مع من حوله و حتى مع المعالج النفسي نفسه من خلال النماذج الثلاثة الاولى. أما الانتماء الديني فربما يلقي الضوء على اطار و محتوى اتصال المريض مع معالجه و مع من حوله و لكنه لا يساعد على استخدام التعقل في صياغة حالة المريض النفسية.

لا يخضع مبدأ التعقل لقواعد نظرية مميزة يُفترض استعمالها في العلاج، و انما هو طريقة تواصل انسانية بين المريض و من حوله من الناس و كذلك بين المعالج و المريض. يستند مبدأ التعقل على استيعاب الحالة النفسية للمريض و ادراك الحالة النفسية للمعالج نفسه في عين الوقت. ان ادراك المعالج لحالته النفسية و حالة من يستشيريه استناداً الى مبادئ التعقل يستوجب الانتباه الى الانتماء الحضاري و الديني لكلا الطرفين، و عدم تجاوز الحدود المهنية في العلاج. اذا حدث و تم تجاوز هذه الحدود عبر الخوض في العقائد الدينية فعند ذاك يفقد المعالج طريقه في تعقل سلوك من يستشيريه و تأثير ذلك على صحته النفسية.

ان البحث عن نظرية نفسية علاجية اسلامية يتناقض مع مبدأ التعقل الذي يوفر الاطار الاكثر قبولاً لدراسة سلوك الانسان و تفاعله مع من حوله و مع من يستشيريه لتجاوز ازمة نفسية.

المصادر

- Bowlby J (1969): Attachment and Loss. Vol 1: Attachment. London, Hogarth Press and the Institute of Psychoanalysis.
- Bowlby J (1973): Attachment and Loss. Vol 2; Separation: Anxiety and Anger. London, Hogarth Press and the Institute of Psychoanalysis.
- Bowlby J (1980): Attachment and Loss. Vol 3: Loss: Sadness and Depression. London, Hogarth Press and the Institute of Psychoanalysis.
- Fonagy P (1998): An attachment theory approach to the treatment of difficult patient. Bull Menninger Clin 62: 147 - 169.

كان على الامبراطور المقدس ان يتعظ بأعمال فلاسفة اليونان مثل بلاتو و ارسطو قبل أكثر من الف عام من تجربته المريضة. أكد هؤلاء الفلاسفة العظام على اهمية العوامل البيولوجية و البيئية في نشأة الانسان، و الصراحة هذا هو الرأي السائد الى اليوم.

جاء عصر النهضة بعد ذلك و الجميع على الامام بأراء جان جاك روسو الذي جادل بان الصفات الحميدة تكون مزروعة في الانسان منذ الولادة و لا يغير ذلك فيه الا البشر الذين يعيشون في محيطه .

موقع التعلق و التعقل في الطيب النفسي

لم يكن لنظرية التعلق موقعها المذكور لعدة عقود من الزمن حتى بداية التسعينيات من القرن العشرين و السبب في ذلك يعود الى شهرة و شيوع مفهوم التعقل Mentalization. ان مفهوم التعقل مشتق برمته من التعلق و يستعمل في كافة المجالات، و الامام به يساعد الطبيب او المعالج النفسي في التواصل الصحي مع المريض بل و حتى مع زملائه في العمل.

يمكن ان نعرف مفهوم التعقل بانه قابلية الانسان على أدراك ان تفكيره و تفكير الاخرين تمثيلي Representational في طبيعته، و ان سلوكه و سلوك الاخرين مدفوع بحالة داخلية مثل الافكار و المشاعر (Fonagy 1998). تفهم الام و تستوعب و تستجيب لاحتياجات الطفل و يتم ذلك عن طريق ضبط الحالة العقلية و النفسية للطفل في داخلها. من جراء ذلك يشعر الطفل بانه اصبح جزء لا يتجزأ من الحالة النفسية و العقلية للام . بعدها يقوم الطفل بدوره باستيعاب الام في داخله. على ضوء ذلك هناك تمثيل للام في عقل الطفل ناتج عن تمثيل الطفل في بداية الامر في داخل الام. متى ما تم الامر بصورة صحية اصبح الطفل قادراً كذلك على استعمال التعقل في التعامل مع الاخرين و ان السلوك ما هو الا نتيجة لأفكار و مشاعر مخزونة في داخله.

نظرية نفسية اسلامية ؟

لا شك بان علم النفس و الطب النفسي مزدهم جداً بالنظريات النفسية. الكثير من هذه النظريات مكتظة بمصطلحات غريبة و مضطربة في معناها، و رغم انها رنانة في اطارها، لكنها قلما تساعد الطبيب النفسي او المعالج النفسي في التواصل المستمر مع المريض. كذلك يصعب وضع هذه النظريات في اطار البحث العلمي على عكس النظريات البيولوجية، و هذا ما يفسر شيوع تطبيب الكثير من المشاكل الاجتماعية و النفسية و حصرها في اطار الاضطرابات الوجدانية الى حد الاسراف. يمكن اضافة ملاحظة اخرى الى طبيعة العلاج النفسي الذي يتم تقديمه الى المرضى و الشكوك التي تحوم حوله و هل هو محدد و مميز بنظرية نفسية علاجية واحدة ام لا. هذا هو الحال مع النظريات النفسية الشائعة هذه الايام.

ان البحث عن نظرية جديدة اسلامية الاطار أو المحتوى لتفسير السلوك الانساني لا يزيد الامور الا المزيد من الارتباك سواء كان ذلك للمعالج او المريض. لا يختلف الانسان المسلم عن غيره في مراحل تطوره النفسي و الاجتماعي و تعلقه بمن يرباه في المراحل الاولى من حياته. هذا التعلق بدوره يحدد و ينظم تفاعل الانسان مع غيره من البشر من المسلمين و غير المسلمين. ان التعاليم الدينية لها دورها في تلبية احتياجات الفرد الروحية، و هي جزء لا يتجزأ من الرعاية النفسية و الطب النفسية في جميع انحاء العالم، و يحرص منسق رعاية المريض على ارشاد المريض لتلبية هذا الحاجة. لكن منسق رعاية المريض سواء كان طبيباً نفسياً او معالماً نفسياً او عاملاً اجتماعياً لا يقوم هو بوضع المريض و تلبية هذا الاحتياج من خلال التفاعل معه سريرياً و علاجياً.

الدين والأعراف والعالم النفسي

علك هامش انتقاد د. إدريس عبد السلام شاهدك الوداني.

د. سداد جواد التميمي - استشاري أمراض النفس - المملكة المتحدة

sudad.jawad@btinternet.com

علاقة الأديان بالطب النفسي علاقات متشعبة منذ أكثر من مئة عام وجميع على المام بها و عقدها. لا يختلف الدين الإسلامي عن الديانتين اليهودية و المسيحية في محتواه الإنساني و النفسي و تفسير الوجود. ان السعي لاستحداث نظريات علمية مستوحاة من الكتب المقدسة لا ينفرد بها الدين الإسلامي و انما يشاركه في ذلك الدين المسيحي و اليهودي. كان الولوج على اشده في اسرائيل في بداية التسعينيات حول محاولة كشف جميع الاسرار العلمية و النفسية في العالم من خلال دراسة التوراة، و لكن الامر لم يتعدى سوى نشرات يتداولها نسبة ضئيلة من الناس، و لا أحد يعلم اين ذهبت نتائج الدراسات العلمية التي كانت تكاليفها بالملايين. كذلك الامر مع الاخوة المسيحيين في الغرب و الشرق، و الجميع على المام بولع السيد جورج بوش الابن و توني بيلر بهذا الامر و لكن بعيدا عن الاضواء.

يوجه البعض الانتقاد الى المسلمين بالصراخ عالياً عند حدوث أي اكتشاف علمي جديد بوجوده في القرآن الكريم، و على سبيل المثال ما حدث مع تطوير النظرية النسبية هذا العام. هذا الامر لا ينفرد به اهل الاسلام فقط كما يتصور الكثير و انما هي ظاهرة يتسابق فيها معتققي الأديان السماوية الثلاث و يمكن اضافة الكثر من الأديان المحورية الاولى. كلهم هدف ان هذا الاكتشاف موجود في الكتب المقدسة.

في ميدان العلوم النفسية و الاجتماعية تسمع التفاعلات التشعبية بين الدين و الآخر من جراء تصريحات غير مسؤولة من بعض الدعاة حول بعض النصوص الدينية الاسلامية و محاولة وضعها في اطار اجتماعي و عائلي رغم تعارضها مع ما هو مألوف هذه الأيام. الامثلة عديدة و الجميع على المام بها و لا اظن ان الخوض فيها مستحب.

بالطبع ليس هناك حرج في استحداث نظرية اسلامية نفسية او علاج نفسي اسلامي. لكن مثل هذا العمل يستوجب اخضاعه لدراسات ميدانية علمية بحتة حاله حال أي دراسة علمية تستوجب مراجعة دقيقة. هنا تكمن معضلة ارقام الدين في الدراسات العلمية. تتطلب الدراسات العلمية التخلص من الانحياز Bias و من الصعب التصور كيف يمكن العثور على باحث علمي في مجال الدين الذي بإمكانه وضع الانحياز جانبا و ما هو مصير نتائج البحث ان كان يتعارض مع نص ديني. ان الكثير من النظريات النفسية لم تخضع لدراسات محكمة احصائيا و خالية من الانحياز و هذا هو السبب في شيوع النظريات البيولوجية التي ليس من الصعب التحكم فيها. هذا يقودني الى نقطة انتقاد أخرى و هي التفسير البيولوجي الذي لفت الزميل الانظار اليه باني الح فيه.

علم النفس البيولوجي

ليست هناك مقالة موثوق فيها في علم النفس يصعب اكتشاف الابعاد البيولوجية فيها. عندما نشرت مقالا حول "هورمون الذكور" كان القصد منه نشره موجزة عن اهمية هذا الجانب في علم النفس الحديث و ما ورد

في بداية الامر لا بد من توجيه الشكر للزميل الدكتور ادريس الوزاني على تعقيبه على مقال نشره الموقع منذ عدة اسابيع حول التعلق Attachment و Mentalizing . ان الحوار في مختلف المجالات العلمية و الاجتماعية و غيرها هو السبيل الوحيد الى التطور الفردي لكل من يمارس حرفة غايتها خدمة الناس و المجتمع. ان التعقيب الموجود في مقال الدكتور الوزاني لم يتناول المقال اعلاه و اظنه شمل مقالا آخر او اكثر، و لا حرج في ذلك.

مقال التعلق و التعقل

لم يحتوي هذا المقال على اراء شخصية وجديدة بمسألة التعلق و التعقل. كانت الغاية من المقال توضيح هذه المصطلحات لأهميتها في الممارسات العملية في عصرنا هذا و التنبيه الى ارتباط التعقل بالتعلق في بداية التسعينيات من الالفية الماضية. كانت الغاية الاخرى من المقال توسيع فروع التعلق المستعملة في الممارسة المهنية و خاصة في الخمس سنوات الماضية و اهميتها في دراسة التطور النفسي للطفل و تأثيرها عليه في المستقبل. ان دراسة تعلق الطفل بالأم او من يرعاه حاجة ملحة في عصرنا هذا اجتماعيا و قانونيا و تربويا و زيارتها بين الحين الاخر مستحبة.

أما التعقل فان انتقاد الاستاذ الوزاني يشير الى عدم تطرقي الى مختلف فروعه. لا اظن ان التعقل يحتاج في يومنا هذا الى تفصيل و في السنوات العشرة الماضية اصبح الركن الاساسي لتحسين التواصل و الارتباط بين المريض و المعالج، و ليس هناك احدا يمارس ابسط انواع العلاج او الرعاية النفسية من ليس له المام به. طالب الطب و التمريض و الاجتماع يتعلم هذا المفهوم و يتقنه و يمارسه. ترى جميع العمال المساندين Support Workers للمرضى في المجتمع و من ليس لديهم شهادات جامعية يستعملون هذا المفهوم في تواصلهم و يتقنون العمل.

ان مفهوم التعقل و ممارسته يتقنه جميع المتابعين للشبكة، و ربما التطرق اليه بالتفصيل لا يولد الاملا و ضجرا الجميع في غنى عنه.

الدين الإسلامي و علم النفس

أظن، و لست متأكداً من ذلك، ان الانتقاد يعود الى عدم اقتناعي بضرورة استحداث او خلق نظرية نفسية اسلامية. تطرق الزميل الى مسألة النظريات الوجودية النفسية باختصار و المستوحاة من دراسات يالوم في السبعينيات و التي تعني بالنزاعات الوجودية و علاجها في عام 1977 (Yalom 1977). ان العلاج الوجودي ليالوم لم يثبت في مكانه رغم سلاسة طرحه النظري و ما تبقى منه في ازمة الفراق - الوحدة و الحرية - المسؤولية يتشارك به مع نظريات أخرى الى حد ما. اما نهاية الحياة و معنى الوجود ففيه من الطرح الفلسفي الذي لا يحتاج الى معالج نفسي لنقاشه.

عن هذا الامر في التلفزيون البريطاني. لا أظن ان هذا يتعارض مع الاعراف العلمية و الاخلاقية و الاسلامية. لكل انسان له الحق في ابداء رأيه و كما قال كرم الله وجهه "لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءاً، و انت تجد لها في الخير محتملاً".

ألممارسة المهنية الطبية و العقائد الدينية

لكل مجتمع حضارته و ارشاداته في الممارسة المهنية. في المملكة المتحدة هناك تعليمات واضحة في الممارسة الطبية تنص على عدم الخوض في العقائد الدينية و حتى ارشاد المريض في المسائل الروحية. بين الحين و الاخر تولد مشكلة من جراء نصيحة طبيب لمريض على ضرورة ممارسة طقوس دينية او الايحاء اليه بان حالته النفسية لها علاقة بعدم تغطية احتياجاته الروحية. لا يتأخر المريض في تقديم شكوى ضد الطبيب او المعالج النفسي و تتم احالة القضية الى المجلس الخاصة بالممارسة المهنية للتحقيق او النظر فيها. هذه التعليمات واضحة جداً و من الصعب لأي طبيب تبرير سلوكه. اما عملية التحقيق و النظر في هذا الامر التي قد تستغرق العام او أكثر، فان لم تنتهي بالقضاء على الطبيب مهنيًا فبلا شك سنقضي عليه معنوياً.

ليس لدي علم بالضوابط الموجودة في العالم العربي، و لكل مجتمع خصوصياته و لا عيب او حرج في ذلك. لكل مجتمع حق الاختيار في وضع القواعد المهنية للممارسة المهنية توازياً مع حضارته و تقاليده و ثقافته. رغم ذلك فان تلبية الاحتياجات الروحية للمريض او أي فرد يجيدها رجل الدين. لا يغض العالم الغربي النظر عن الاحتياجات الروحية للفرد من مختلف الاديان و رجال الدين في كل مستشفى و ابوابهم مفتوحة للجميع.

كانت اول كلام تسلمه المصطفى هو عن العلم و القلم، و هذا ما يفتخر به كل مسلم. ابواب المعرفة مفتوحة و الآراء تختلف و لم يحصرها الدين الاسلامي الحنيف ضمن جدران العقيدة الاسلامية.

وجزى الله الجميع خيراً.

في المقال موجز للعديد من الابحاث و ثلاثة كتب علمية في هذا المجال صدرت في عام 2012. هذه البحوث التي اطلعت عليها كان مصدرها الرئيسي من كمبردج و امريكا و العديد من مراكز البحوث العلمية النفسية. كان سبب اهتمامي بها هو ما طلبه مني احد المحررين لمراجعة بحث للنشر سانحاً الفرصة لي لتوسيع المعرفة و مشاركة الاخوة فيها.

أما اعطاء الفرصة للمرأة للقيام بدور قيادي أكبر في العالم الاسلامي فهو لا يتعارض مع تعاليم الدين الاسلامي الحنيف و لا مع مسيرة التطور الاجتماعي عالمياً و عربياً و اسلامياً. ان دور الرجال في العالم العربي الاسلامي لم يصل الى درجة يمكن ان نجزم عندها لو ان المرأة تسلمت زمام الامور لكانت الحال اسوأ مما هو عليه الان. ان الإشارة الى حديث الفاروق رضوان الله عليه هو اجتهاد شخصي و لكل أمرأه في ذلك ما دام ذلك لا يلحق الاذى ببقية الناس.

ليس هناك مرضاً نفسياً ليس له جذوره البيولوجية في يومنا هذا من القهم العصبي، ما يسمى بالوسواس القهري، القلق بأنواعه و حتى اضطرابات الشخصية. ان لم تكن العوامل البيولوجية لها دورها في ظهور الحالة فهي بدون شك تلعب دورها في استمرارية الاضطراب على اقل تقدير. لا أظن ان هناك حرجاً في الإشارة الى ان الغرائز لها جذورها البيولوجية و لا ادري ان كان هناك تفسيراً لها سوى ذلك. هناك العشرات من البحوث وضحت لنا اين هو موقع كل ما نسميه غريزة في مخ الانسان. رغم ذلك لا أظن اني تطرقت الى موضوع الغرائز و مواقعها المخية في أي حديث على الشبكة او باللغة العربية الا في محاضرة القيتها في بلد عربي قبل عدة سنوات حول الفص الجبهي للدماغ.

لم استعمل يوماً كلمة "شذوذ" في حديث او محاضرة او رسالة علمية. السبب في ذلك ان كلمة شذوذ تم شطبها من قاموس المصطلحات النفسية و لا يجوز لممارس مهني استعمالها لأنها اصبحت غير قانونية. ربما كانت اشارة الزميل الى مقالة حول المثلية الجنسية و العوامل البيولوجية المحتملة فيها. لا انكر اني تحدثت عن احتمال وجود عوامل بيولوجية حول المثلية الجنسية مؤخراً في برنامج

المجلة العربية للعلم النفس

Index APN eJournal

journal/index-apn.htm www.arabpsynet.com/apn

العدد 38 - ربيع 2013

"العلاج النفسي من منظور ثنائي البعد"

المشرف: الدكتور إدريس عبد السلام شاهدي الوزراني - المغرب/السعودية

الطب النفسي - المدينة المنورة، السعودية

driss.chahdi@gmail.com - arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 30 - 01 - 2013

قواعد النشر بمجلة شبكة العلوم النفسية العربية

تعمل "مجلة شبكة العلوم النفسية العربية" على الإحاطة بمستجدات الاختصاص في كافة فروع العلوم النفسية، محاولين بذلك الاستجابة لحاجات المتخصصين والمهتمين خصوصاً بعد تداخل تطبيقات الاختصاص مع مختلف فروع العلوم الإنسانية. وذلك من خلال اطلاع المتصفح على اتجاهات البحوث العالمية وتعريفه بأخبار ومستجدات هذه البحوث عبر بعض الترجمات للأبحاث الأصيلة. أما بالنسبة للبحوث العربية فإن المجلة تسعى لتقديم الدراسات والبحوث الرصينة المسايرة للمستجدات وللحاجات الفعلية لمجتمعنا العربي. تقبل للنشر الأبحاث بإحدى اللغات الثلاث العربية، الفرنسية أو الإنكليزية.

- 1- الأبحاث الميدانية والتجريبية
- 2- الأبحاث والدراسات العلمية النظرية
- 3- عرض أو مراجعة الكتب الجديدة
- 4- التقارير العلمية عن المؤتمرات المعنية بدراسات الطفولة
- 5- المقالات العامة المتخصصة

المجلة مفتوحة أمام كل الباحثين العرب من أطباء نفسانيين و أساتذة علم النفس داخل الوطن العربي و خارجه وهي ترحب بكل المساهمات الملتزمة بشروط النشر التي حدتها الهيئة العلمية للموقع على الشكل التالي:

■ قواعد عامة

- الالتزام بالقواعد العلمية في كتابة البحث.
- الجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج، والتوثيق العلمي، والخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية
- إرسال البحث بالبريد الإلكتروني APNjournal@arabpsynet.com أو بواسطة قرص من (لا تقبل الأبحاث الورقية).
- إرسال السيرة العلمية المختصرة بالنسبة للكاتب الذين لم يسبق لهم النشر في مجلة الشبكة.

■ قواعد خاصة

- 1- كتابة عنوان البحث واسم الباحث ولقبه العلمي والجهة التي يعمل لديها مع الملخصات و الكلمات المفتاحية باللغات الثلاث العربية، الفرنسية أو الإنكليزية.
- 2- يراعى في إعداد قائمة المراجع ما يلي : تسجيل أسماء المؤلفين والمترجمين متبوعة بسنة النشر بين قوسين ثم بعنوان المصدر ثم مكان النشر ثم اسم الناشر.
- 3- استيفاء البحث لمتطلبات البحوث الميدانية والتجريبية بما يتضمنه من مقدمة والإطار النظري والدراسات السابقة ومشكلة البحث وأهدافه وفروضه وتعريف مصطلحاته
- 4- يراعى الباحث توضيح أسلوب اختيار العينة، وأدوات الدراسة وخصائصها السيكمترية وخطوات إجراء الدراسة
- 5- يقوم الباحث بعرض النتائج بوضوح مستعينا بالجداول الإحصائية أو الرسومات البيانية متى كانت هناك حاجة لذلك
- 6- تخضع الأعمال الطبفسية المعروضة للنشر لتحكيم اللجنة الاستشارية الطبفسية للمجلة، كما تخضع الأعمال العلمفسية لتحكيم اللجنة الاستشارية العلمفسية و ذلك وفقاً للنظام المعتمد في المجلة ويبلغ الباحث في حال اقتراحات تعديل من قبل الحكمين.
- 7- توجه جميع المراسلات الخاصة بالنشر إلى رئيس الموقع على العنوان الإلكتروني للمجلة.
- 8- الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي كاتبها ووجهات نظرهم.
- 9- لا تعاد الأبحاث المرفوضة لأصحابها.
- 10- لا تدفع مكافآت مالية عن البحوث التي تنشر.

قواعد التوثيق:

عند الإشارة إلى المراجع في نص البحث يذكر الاسم الأخير (فقط) للمؤلف أو الباحث وسنة النشر بين قوسين مثل (عكاشة، 1985) أو (Sartorius, 1981) وإذا كان عدد الباحثين من اثنين إلى خمسة تذكر أسماء الباحثين جميعهم للمرة الأولى مثل (دسوقي، النابلسي، شاهين، المصري، 1995)، وإذا تكررت الاستعانة بنفس المراجع يذكر الاسم الأخير للباحث الأول وآخرون مثل (دسوقي و آخرون، 1999) أو (Sartorius et al., 1981) وإذا كان عدد الباحثين ستة فأكثر يذكر الاسم الأخير للباحث الأول و آخرون مثل (الدمرداش، و آخرون، 1999) أو (Skinner, et al., 1965)، وعند الاقتباس يوضع النص المقتبس بين قوسين صغيرين " " وتذكر أرقام الصفحات المقتبس منها مثل: (أبو حطب، 1990 : 43)

وجود قائمة المراجع في نهاية البحث يذكر فيها جميع المراجع التي أشير إليها في متن البحث وترتب ترتيباً أبجدياً - دون ترقيم مسلسل - حسب الاسم الأخير للمؤلف أو الباحث وتأتي المراجع العربية أولاً ثم المراجع الأجنبية بعدها وتذكر بيانات كل مرجع على النحو الآتي:

-عندما يكون المرجع كتاباً:

اسم المؤلف (سنة النشر) عنوان الكتاب (الطبعة أو المجلد) اسم البلد: اسم الناشر، مثال: مراد، صلاح أحمد، (2001) الأساليب الإحصائية في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية، القاهرة: الأنجلو المصرية

-عندما يكون المرجع بحثاً في مجلة:

اسم الباحث (سنة النشر) عنوان البحث، اسم المجلة، المجلد الصفحات، مثل: القطامي، نايفة (2002). تعليم التفكير للطفل الخليجي، مجلة الطفولة العربية، 12، 87 - 114

ج- عندما يكون المرجع بحثاً في كتاب:

اسم الباحث (سنة النشر) عنوان البحث، اسم معد الكتاب، عنوان الكتاب، اسم البلد: الناشر، الصفحات التي يشغلها البحث

1- الإشارة إلى الهوامش بأرقام متسلسلة في متن البحث ووضعها مرقمة على حسب التسلسل في أسفل النص التي وردت بها مع مراعاة اختصار الهوامش إلى أقصى قدر ممكن، وتذكر المعلومات الخاصة بمصدر الهوامش في نهاية البحث قبل الجزء الخاص بالمصادر والمراجع

2- وضع الملاحق في نهاية البحث بعد قائمة المراجع

■ الدراسات والمقالات العلمية النظرية:

تقبل الدراسات والمقالات النظرية للنشر إذا لمست من المراجعة الأولية أن الدراسة أو المقالة تعالج قضية من قضايا الطب النفسي أو علم النفس بمنهج فكري واضح يتضمن المقدمة وأهداف الدراسة ومناقشة القضية ورؤية الكاتب فيها، هذا بالإضافة إلى التزامه بالأصول العلمية في الكتابة وتوثيق المراجع وكتابة الهوامش التي وردت في قواعد التوثيق

■ عرض الكتب الجديدة ومراجعتها:

تنشر المجلة مراجعات الباحثين للكتب الجديدة ونقدها إذا توافرت الشروط الآتية:

1- الكتاب حديث النشر، ويعالج قضية تخص أحد مجالات الطب النفسي، علم النفس، العلاج النفسي أو التحليل النفسي

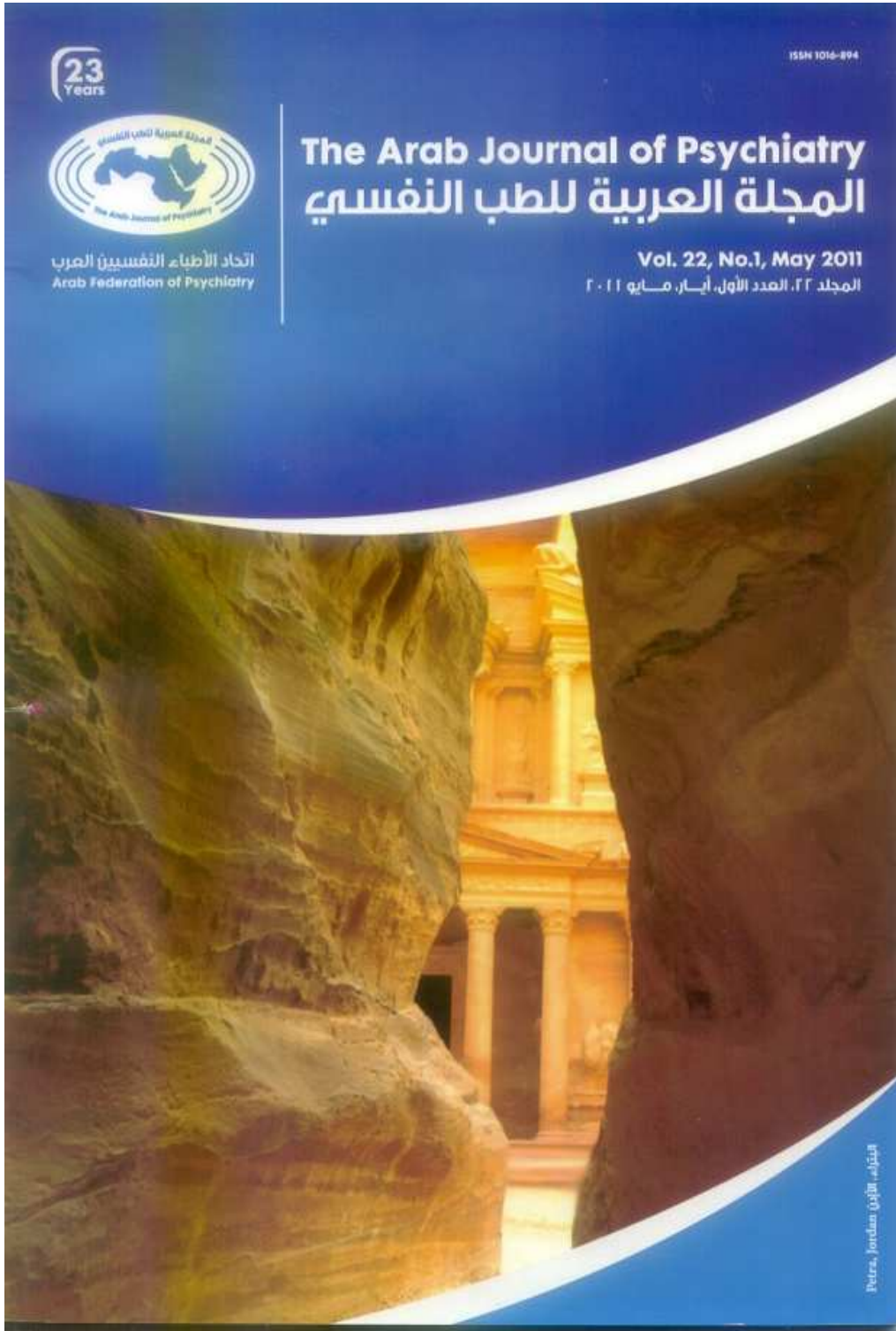
2- استعراض المراجع لمحتويات الكتاب وأهم الأفكار التي يطرحها وإيجابياته وسلبياته

3- يتوى العرض على اسم المؤلف وعنوان الكتاب والبلد التي نشر فيها واسم الناشر، وسنة النشر، وعدد صفحات الكتاب.

كتابة تقرير المراجعة بأسلوب جيد

■ التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات:

تنشر المجلة التقارير العلمية عن المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية في مجال علم النفس و الطب النفسي التي تعقد في البلاد العربية أو غير العربية بشرط أن يغطي التقرير بشكل كامل ومنظم أخبار المؤتمر أو الندوة أو الحلقة الدراسية وتصنيف الأبحاث المقدمة ونتائجها وأهم القرارات والتوصيات كما تنشر المجلة محاضر الحوار في الندوات التي تشارك فيها لمناقشة قضايا تتعلق باختصاص.



www.arabjpsychiat.com